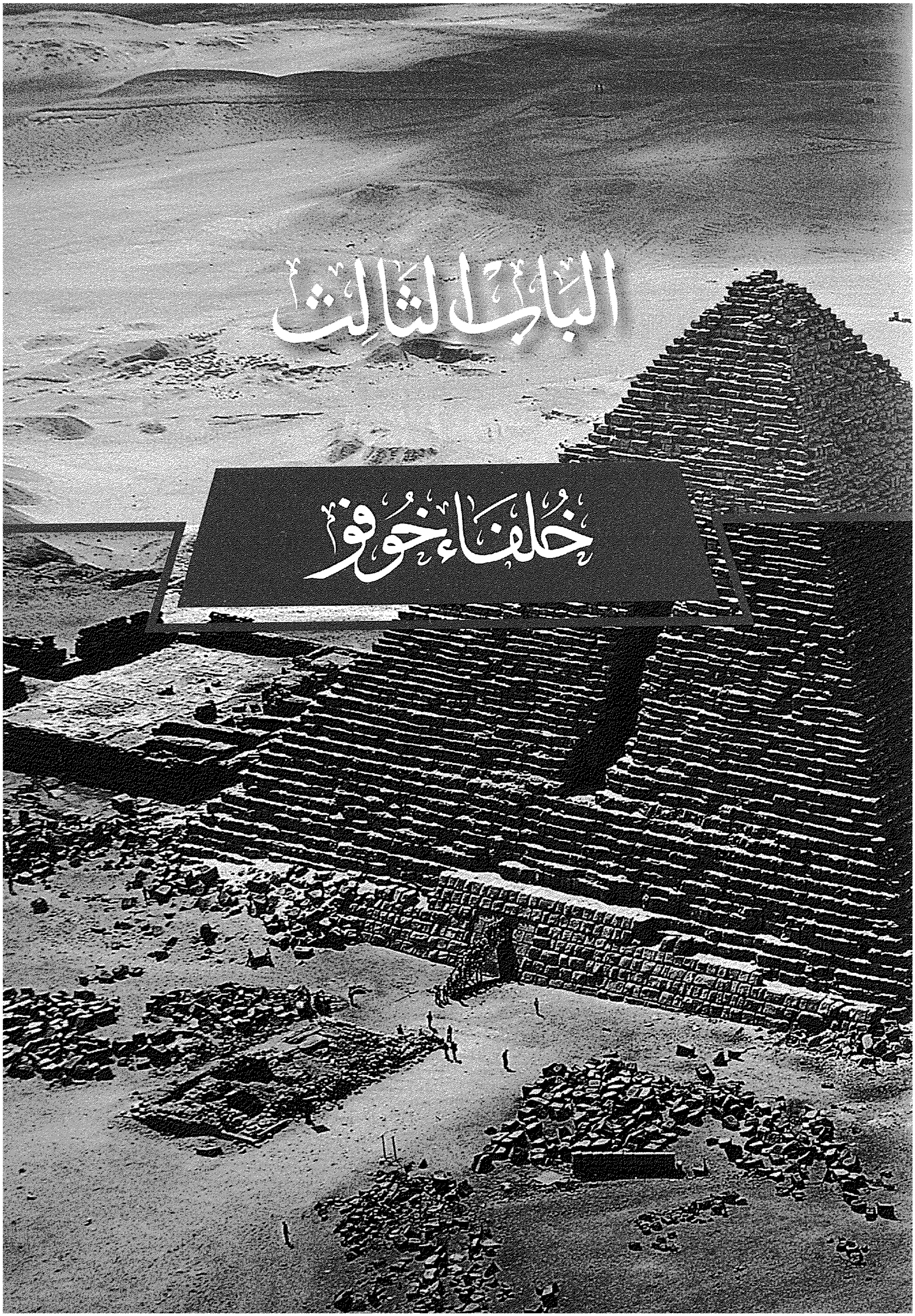
الباب الثالث
خلفاء خوفو

الفصل الأول

معارك داخل الأسرة الملكية.. جدف رع بأبو رواش

كانت الأيام التي قبيل وفاة الملك خوفو – عندما سقط الملك القوي عاجزاً على سرير المرض– مليئة بالاضطراب داخل الأسرة الملكية.. وبعدها مات الملك، وأعلن انتقال الملك المعبود وعم الحزن البلاد.. أما بالقصر الملكي فظهر من يروجون الإشاعات حول خليفة الملك، فهل سيصعد جدف رع على العرش أم سيتولاه أخوه غير الشقيق خفرع؟إلا أن جدف رع كان هو الأكبر في السن ووصل إلى مرتبة ولي العهد وكان له تأثيره على العائلة الملكية وكبار رجال الدولة. وهذا ما جعله ينتصر في معركة الحكم ويحكم سيطرته على مراسم دفن أبيه، وقد طلب من كبير النجارين "انتي شدو" أن يفكك له مركبين واللذيْن قد دفنا في حفرتين جنوبي هرم أبيه، وفي تأكيد لدوره في خلافة والده قام بنقش خرطوش يحمل اسمه على إحدي اللوحات، التي تغطي حفرة مركبه وكرر هذا النقش 18 مرة.

وبعد توليه العرش، اتخذ الملك جدف رع لقبًا جديدًا وهو "ابن رع" كنوع من التبجيل لعقيدة والده، كما اتخذ 3 أسماء أخرى: "حورس خبر"؛ أي حورس متواجد، ولقبه النسو بيتي، و"خبر ام نبتي"، ولقبه حورس الذهبي (يظهر به ثلاثة صقور).

وبعد أن دفن والده، قام الملك جدف رع بترك الجيزة المليئة بمؤامرات أخيه خفرع، وانتقل ببلاطه الملكي إلى منطقة أبو رواش (8كم/5 أميال) إلى الشمال وإن كانت هناك أدلة حديثة من خلال الحفائر التي تمت بأبو رواش أنه لم يكن هناك مؤامرات بين الأسرة المالكة بعد موت خوفو، وأن جدف رع تولى العرش بادعائه أنه الوريث الوحيد ولكن يظل اختياره مكانًا بعيدًا عن الجيزة أمرًا يجب تفسيره. وكان الملك متزوجًا خلالها من أميرة تدعى "خنت تنكا"، ولكن من أجل تأكيد شرعيته في الحكم، قام بالزواج من أرملة أخيه وأخته في نفس الوقت الأمير كاوعب والتي تسمى "حتب حرس" الثانية. ولا نعرف اسم المهندس الذي خطط لإقامة تلك المجموعة الهرمية، وإن كنا نعرف اسم المجموعة وهي "جدف رع نجمة السحد" أو "جدف رع السماء ذات النجوم"

وبأفضل بقعة على إحدى الروابي المرتفعة على ارتفاع 150م (492 قدمًا) تقريبًا فوق وادي النيل، يطل هرم جدف رع على هضبة الجيزة، وكان التل القائم هناك يضم نواة لإقامة الهرم، مما وفر قدرًا كبيرًا من المجهود. أما الهرم نفسه فقد صمم على شكل مبنى متوسط نسبيًّا ذي جوانب شديدة الانحدار في تشابه للميل الأصلي للهرم الجنوبي الخاص بجده سنفرو بدهشور، ومن المفترض عادة أن جدف رع لم يكن يستطع الوصول إلى الثروات التي كانت تحت إمرة والده، ومن ثم أخيه خفرع، حيث إنه من المحتمل أنه كان في سن متقدمة عندما وصل إلى العرش (حيث نعرف أن أبناءه كانوا كباراً) مما لم يتح له الوقت لإكمال مشروعه الضخم.

وتتكون نواة الهرم (وهي العنصر الوحيد الباقي منه حالياً) من طبقة صخرية وكتل من الحجر الجيري، بالإضافة إلى وجود بقايا بالجانب الشرقي للهرم تدل على أنه قد كسي بطبقة من الجرانيت. وقد تم الكشف مؤخراً عن فأس من النحاس مدفونة بالموقع مما يدل على إقامة طقوس التأسيس عند الهرم. ويصل الجزء الواقع تحت الأرض إلى نحو

■ رأس للملك جدف رع– كوارتزيت– متحف اللوفر.

23×10م (76×33 قدمًا) ويصل إلى عمق نحو 20م (66 قدمًا). ويبدأ ممر يصل طوله إلى 49م (161 قدمًا)تقريبًا، ويصل إلى حجرتيْن إحداهما هي حجرة الدفن والأخرى هي حجرة السرداب. وقد عثر العالم بتري في عام 1880م، بهذا الجزء على بعض القطع الجرانيتية، حيث يعتقد بعض العلماء أنها أجزاء من تابوت جرانيتي خاص بالملك.

وإلى الشرق من الهرم توجد بقايا المعبد الجنائزي الذي بني بكتل من الحجر والطوب اللبن. وبتلك المنطقة كان اسم الملك جدف رع مكتوبًا داخل خرطوش بطول جزء من دعامة، كما عثر على حفرة مركب على الجانب الغربي للمعبد الجنائزي، والتي كانت مليئة بالعديد من بقايا التماثيل المصنوعة من الكوارتز، حيث يعتقد أنه هناك أكثر من 120 تمثالاً قد هشموا وألقوا بتلك الحفرة. وكانت بقايا تلك التماثيل تمثل الملك وهو جالس على عرشه، وزوجاته و3 من أبنائه واثنتين من بناته. ومن أجمل بقايا تلك التماثيل ذلك التمثال الذي يمثل الملك نفسه حيث يمثل رأس الملك كجزء من تمثال لأبو الهول، وهو ما يعتبر أقدم وأول نموذج لدينا في

■ الممر داخل هرم الملك جدف رع– أبو رواش.

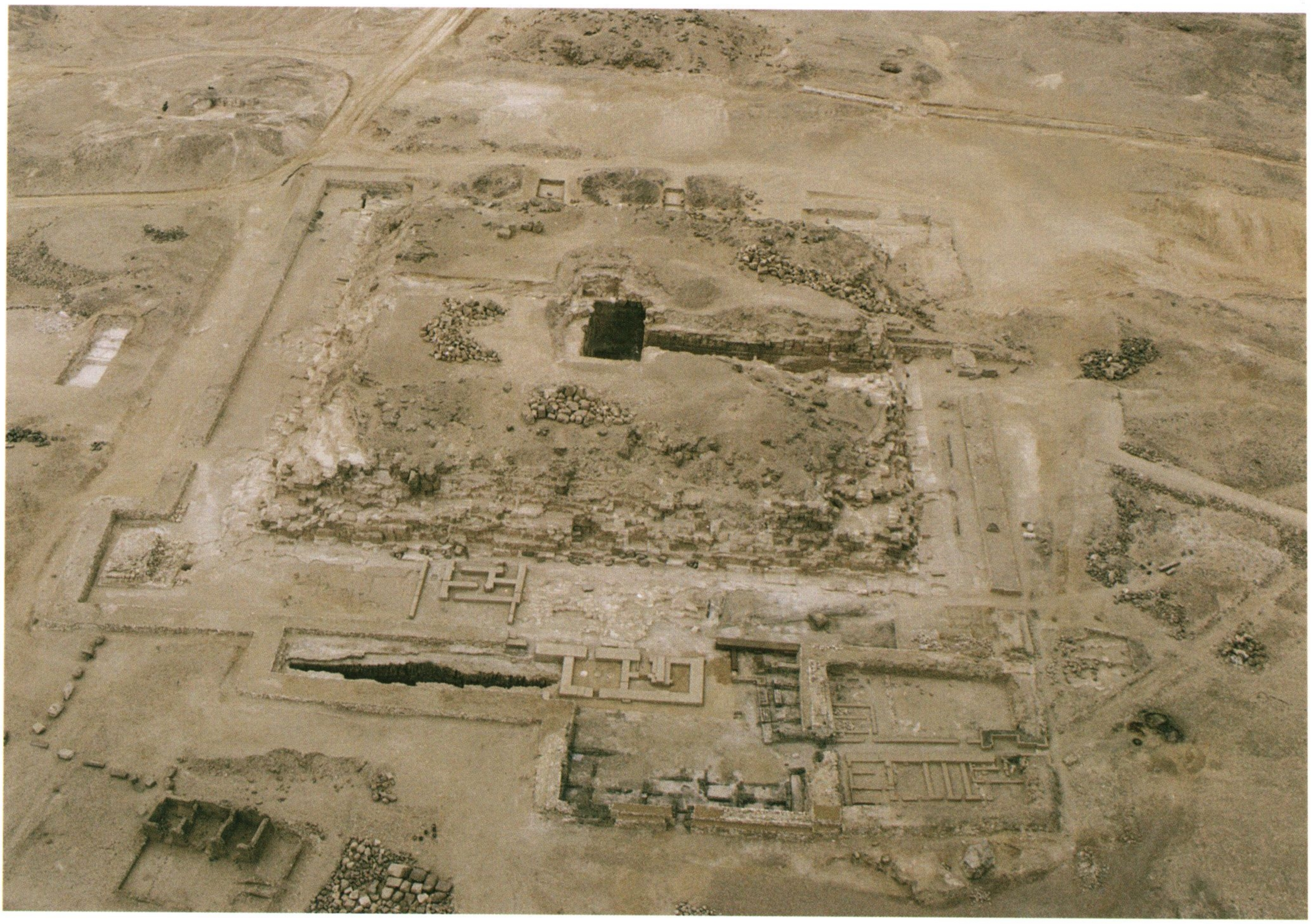

التاريخ المصري لفكرة تمثال أبو الهول. وكان أبو الهول المصري مصورًا على شكل رأس الملك وجسد أسد كرمز لقوة وسلطان ملك مصر. ويبدو من أسلوب تهشم تلك التماثيل أنها قد تعرضت للانتقام والتخريب عن عمد، ويرجح بعض العلماء أن هذا الأمر يعد دليلاً على وجود صراع شديد بين الملك جدف رع وأخيه خفرع، كما أنه من الممكن أن يكون هذا التدمير قد حدث لاحقًا إما خلال عصر الانتقال الأول، عندما خربت جبانة الجيزة، أو خلال العصر اليوناني الروماني، أو حتى خلال العصر الحديث عندما زحف العامة إلى هذا الموقع لاستخدام أحجاره لبناء منازلهم الحديثة.

وبالركن الجنوبي الغربي للهرم توجد بقايا لهرم عقائدي. وقد كشفت الحفائر الحديثة المشتركة بين المجلس الأعلى للآثار والبعثة السويسرية عن وجود هرم جديد بالقرب من الركن الجنوبي الشرقي للهرم الأساسي، ويصل طول قاعدته إلى 10.5م (34 قدمًا) تقريبًا و لم يبق منه سوى 5 مداميك من الحجر الجيري عند كل جانب. وفي منتصف الجانب الشمالي للهرم عثر على بئر يصل طوله إلى 1.5م (5 أقدام) تقريبًا وعلى عمق 4 أمتار (13 قدمًا)

■ منظر عام للمجموعة الهرمية للملك جدف رع– أبو رواش.

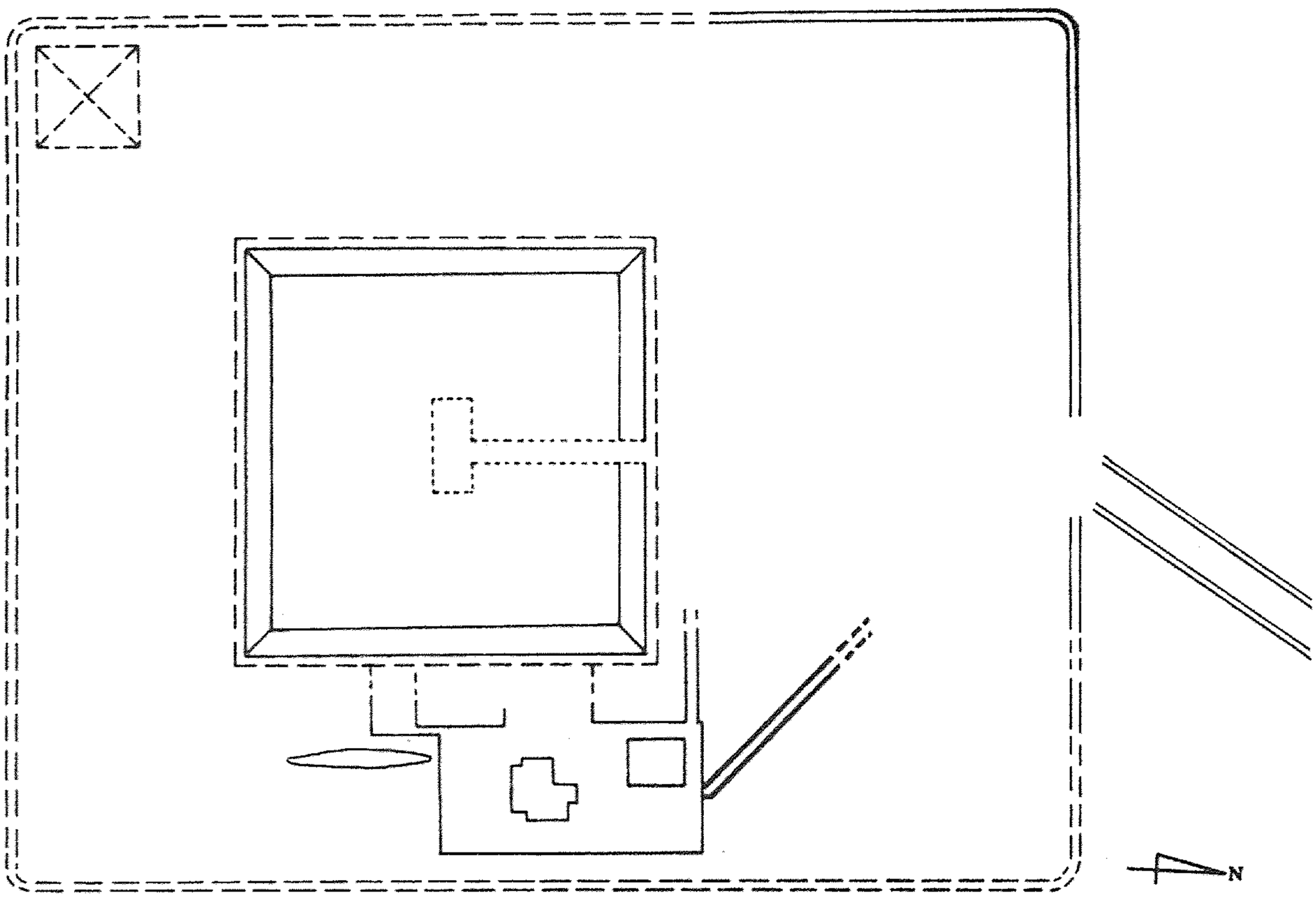

يؤدي بدوره إلى ممر محوره شمال–جنوب يوصل إلى 3 حجرات، واحدة بالشرق واثنتين بالغرب. وبداخل البئر عثر على كسرات من فخار من الدولة القديمة، وأوان من العصر الروماني، كما عثر على بعض قطع أثرية بديعة، مثل: قطعة من الملاط على شكل حصيرة تشبه تمثيل الحصير الموجود داخل المقبرة الجنوبية للملك زوسر. ويوجد بالممر الرئيسي داخل الهرم إناء كبير من الألباستر يحمل اللقب الحوري للملك خوفو، وثقل ميزان من البازلت منقوش بقياس 90 "دبن" وهو ما يعادل حالياً 810 جرامات، بالإضافة إلى بعض الأواني الكانوبية، وتلك الأواني هي الأقدم والأولى من نوعها. أما الحجرة الشرقية فتضم قطعًا من غطاء تابوت.

وعلى الأرجح أن هذا الهرم يخص إحدى الملكات، وهي غالباً الملكة حتب حرس الثانية. وكان موقع هذا الهرم يستخدم في العادة للأهرام العقائدية، ولكن بالنسبة لمجموعة الملك جدف رع الجنائزية فإنّا نرى أن العديد من العناصر المعمارية مختلفة عما كانت عليه بمجموعة والده وخلفائه.

■ مخطط لهرم الملك جدف رع.

ويرتبط هرم جدف رع بطريق صاعد طويل يصل حتى الجدار المحيط بالهرم عند جانبه الشمالي. وفي حقيقة الأمر فإنها تشبه المجموعة الهرمية للملك زوسر، كما لو كان الملك قد اختار أن يدمج نفسه مع الماضي البعيد.

أما الهرم الآخر الذي عثر عليه، فربما كان للملكة "خنت تنكا"، حيث إن هناك العديد من بقايا التماثيل تنتمي لتلك الملكة تم العثور عليها بأبو رواش.

■ حفرة المركب داخل المجموعة الهرمية للملك جدف رع– أبو رواش.

وكان العمل بهرم جدف رع قد مضى سريعاً إبان عصره، ولكن دون اتباع المعايير المتقدمة التي اتبعها بناة هرم خوفو. فكان من المعتقد أن جدف رع قد حكم مصر لفترة قصيرة جدًّا لا تزيد عن 8 سنوات، حيث توفى تاركًا مجموعته الهرمية غير مكتملة، وهو ما دفع أخاه وخليفته خفرع لإكمال هذا العمل، ومع ذلك، فقد عثر على بقايا عرش لتمثال يدل على أنه تمثال جالس منقوش عليه "من.... رع" (منكاورع)، وهو ما يشير إلى وجود نشاط له في المجموعة الهرمية لجدف رع.

ويحد هرم جدف رع طريق صاعد طويل يصل إلى السور المحيط للهرم عند جانبه الشمالي، ويوجد ممر مسقوف يربط بين الجدار الداخلي المحيط بالمعبد الجنائزي وبين هذا الطريق الصاعد، وخارج هذا الممر تم العثور على خبيئة تضم أواني قرابين صغيرة، وتدل بقايا فخار تلك الأواني على استمرار خدمة عقيدة الملك جدف رع لمدة كبيرة، وهذا على الرغم من عدم اكتمال مجموعته الهرمية، فلم تهمل عقيدته بعد وفاته.

ولا نعلم سوى القليل عن شخصية هذا الملك، حيث إن الأدلة التي تركها خلفه قليلة، ومنها تلك الرأس لتمثال أبو الهول والموجودة حاليًا بمتحف اللوفر، والتي تشير إلى ملامحه كرجل حكيم عميق التفكير، حازم وقوي. وقد مثل أبناءه في صورة كتبة (وهي من أوائل صور الكتبة التي عرفناها في مصر القديمة) وهو يخبرنا بأنهم قد تعلموا وأصبحوا محل ثقة من أبيهم. وإن كان هذا الشخص هو جدف حور، فإنه يحمل ذكرى رجل حكيم وكاتب بعض من أهم أعمال الأدب التعليمي.

وبسبب الدمار المتعاقب الذي حل بمجموعته، فنحن لا نعرف الكثير عن أحداث فترة حكم جدف رع، كما أننا لا نعرف الظروف التي تحيط بوفاته. فمعظم الآراء التي تؤمن بوجود صراع بين أبناء الملك خوفو على العرش رأت بأن جدف رع قام بقتل أخيه "كاوعب" مما دفع خفرع لقتله بدافع الانتقام. وترى بعض الآراء أنه ربما تركت مجموعته الهرمية غير مكتملة كما تم تدمير تماثيله بدافع الكراهية والرغبة في محو اسمه وعقيدته للأبد، إلا أننا نعرف أن عقيدته قد استمرت، وبالإضافة إلى خبيئة الفخار النذري التي عثر عليها بأبو رواش، فإن كهنة جدف رع قد دفنوا بالجيزة بالإضافة إلى وجود مراسيم تبرع وسجلات قرابين قد خصصت لعقيدته على يد خلفاء خفرع.

الفصل الثاني

مؤامرات خفرع

لقد نجح أخوه غير الشقيق جدف رع في الصعود إلى عرش مصر.. ولكن جدف رع قد مات الآن.. وها قد جاء دوره.. ولم يكن من أبناء جدف رع من يتمتع بالقوة الكافية ليتغلب عليه.. فقد كان مدعماً بمستشاري والده، وعلى الرغم من أن خفرع مازال صغيراً في السن كي يتطلع لعهد قوي، إلا أنه عرف أن هذا الوقت هو وقت انتصاره وهذه هي الفرصة كي يصعد على العرش ويصبح ملكًا على الأرضين.. على الرغم من كونه أصغر إخوته إلا أنه كان المحبوب من والده، كما أمضيا ساعات يناقشان كيفية تطبيق الماعت وما هي أفضل طريقة لحكم البلاد؟ وكيف يمكن اتباع إرادة أرباب السماء بينما هو يقوم بدور المعبود على الأرض؟.. وكانا يقرءان المخطوطات القديمة معًا وتجادلا حول نقاط جيدة بأمور العقيدة.. وكان خفرع دائماً يعرف أنه الخليفة المناسب لأبيه.. والآن جاءت اللحظة التي قد انتظرها منذ وقت بعيد..

صور الأمير خاف خوفو، والذي نعتقد أنه هو نفسه خفرع، وهو في منتصف عمره بمصطبته الواقعة شرقي الهرم الأكبر، كما توجد علامة محجر من المقبرة تشير إلى أن المقبرة قد بنيت في العام 24 من حكم الملك خوفو، وقد كان ابن الملك من صلبه، ومن المحتمل أن يكون ابن الملك خوفو، وأمه هي الملكة حنوت سن، تلك الملكة التي دفنت بالهرم الواقع أقصى الجنوب من أهرام الملكات. وكانت زوجته هي "نفرت كاو" وكان له على الأقل ولدان وابنة.

وإن كان خوفو خع إف وخفرع هما نفس الشخص، فربما قد تزوج من أخته غير الشقيقة مرسي عنخ الثالثة، ابنة الملك خوفو ومريت إت إس الأول.

ومع اعتلائه العرش، نجح الملك خفرع في إعادة التآلف بين أفراد الأسرة الحاكمة، وحكم مصر لمدة 25 سنة، وكان الملك خفرع هو ابن الملك خوفو من زوجته الملكة حنوت سن والتي دفنت بالهرم الجانبي الجنوبي لهرم الملك خوفو.

وكانت أول خطوة قام بها الملك خفرع عند اعتلائه العرش هي إعادة البلاط الملكي إلى الجيزة مرة أخرى، وإن لم يكن هناك أي دليل على بناء قصر جديد له هناك؛ لذا فإنني أعتقد أنه قد أقام في قصر أبيه بعد أن أضاف بعض المناظر على جدرانه التي تحتفل بعهده الجديد.

وكان وزيره الأول هو "عنخ حاف" والذي حمل لقب المشرف على جميع أعمال الملك. وقد دفن هذا الرجل بالمقبرة رقم G7510، ثاني أكبر مقبرة بالجيزة. ويعتقد بعض العلماء أنه كان ابن الملك سنفرو، في حين يعتقد آخرون أنه كان ابن الملك خوفو وأخا الملك خفرع. وقد قام هذا الرجل بإعلان قدوم الملك الجديد للأقاليم الـ42 بمصر العليا والسفلى. وربما كان كهنة هليوبوليس أقل سعادة بالعودة إلى الجيزة وعقيدة خوفو، والتي كانت أقل ظهوراً خلال عهد جدف رع.

ومن المحتمل أن الملك خفرع قد تولى عرش مصر خلال فصل النمو "برت" وعبر فصل "الشمو" –فصل الحصاد– قد أتم انتقاله إلى الجيزة، حيث عاد بعد غياب 12 عامًا فقط، واستقبل من قبل الكهنة والموظفين الذين بقوا من أجل إحياء شعائر عقيدة أبيه خوفو. وخلال أشهر الحصاد الأربعة، قام مهندسو الملك ببداية البحث عن موقع لإقامة هرم

■ تمثال الملك خفرع– ديوريت– المتحف المصري.

للملك والذي كان مخططًا له أن يكون أكبر من هرم أبيه، وإلى الجنوب الغربي من الهرم الأكبر وقع اختيارهم على بقعة مناسبة والتي شيد عليها هرم خفرع ليكون أعلى من هرم خوفو.

وقد بدأت إعدادات الهرم الجديد خلال فصل "الآخت"؛ أي الفيضان والذي تبدأ معه الدورة الزراعية بالسنة. وفي بعض الأحيان ما يأتي الفيضان قويًّا وخطيرًا وفي أحيان أخرى يأتي بسيطًا مما يحرم الأراضي من المياه الكثيرة وهو ما يجعل عملية نقل الأحجار إلى موقع الهرم أمرًا عسيرًا. وكان الفيضان المعتدل تعبيرًا عن السنة المعتدلة الجيدة كما كان بشرى جيدة للمستقبل.

ومع إعداد موقع الهرم الجديد، قام الملك خفرع ومستشاروه باختيار اسم له، وهو أمر كان في غاية الأهمية، حيث يحدد من خلاله رمزية الهرم القوية، وهي نقطة التقاء وانتقال الحياة والموت، النور والظلام. وقد اختار خوفو اسم هرمه "آخت خوفو"؛ أي أفق خوفو، ولكنه أيضًا يندمج بمعنى التحول، والظهور من الظلام إلى نور المجد. أما خفرع فقد اختار لهرمه اسم "خفرع ور"؛ أي عظيم هو خفرع.

وإبان الدولة الحديثة عثر على لوحة بالقرب من معبد الوادي بالقرب من موقع استراحة الملك توت عنخ آمون تقول:

"الهدية التي يمنحها الملك لأنوبيس الرابض على جبله، والذي يمكن أن يعطيها إلى كبير مدينة الهرم (عظيم هو خفرع)".

وهذا النص يوضح لنا أن مدينة هرم خفرع كانت أشهر من مدينة هرم خوفو، كما أن هذا الاسم – كما كان معتادًا– هو اسم الهرم نفسه. وكان موقع تلك المدينة أمام الواجهة الشرقية لمعبد الوادي؛ أي إلى الشرق من الرصيف والقناة التي تجري أمامه. ونعرف أيضًا من ألقاب الحاشية المدفونين بالجيزة بأن منطقة واحدة على الأقل من مدينة هرم خفرع تدعى ten-resy، وهذا قد دعى العديد من الدارسين إلى أن مدينة هرم خفرع كانت تقع إلى الجنوب من الطريق الصاعد ومعبد الوادي.

وتلك المدينة كانت مركز الإدارة والكهنوت، حيث عاش بها العديد من العمال والفنانين وصغار الموظفين، والذين ارتبطوا ببناء الهرم ناحية الجنوب بالقرب من منطقة حيط الغراب. وكان هؤلاء الرجال والنساء جميعهم يعملون معًا ليخدموا ملكهم الجديد، وثبتوا مكانة مصر على الأرض ومستقبل خفرع كإله.

الفصل الثالث

المجموعة الهرمية للملك خفرع

لم يكن خفرع ذلك الملك الجديد الصغير في السن.. ولكنه كان قوي البنيان كما رغب في السير على خطى أبيه... وكان هرمه كبيراً نوعاً ما، كما كانت مجموعته الهرمية مزينة.. وها قد عاد نحاتو أخيه إلى الجيزة وعملوا على تطبيق ما تعلموه بأبو رواش...وأمر بنحت عديد من التماثيل من أحجار صلبة لامعة.. والتي ستزين معابده...

وتعد مجموعة خفرع الجنائزية على مستوى عال من الحفظ، حيث يمكن رؤية تخطيطها بوضوح كما أن كل من طريقها الصاعد ومعابدها من أكثر الأماكن زيارة. وتبدأ المجموعة من الشرق، حيث معبد الوادي والذي مازال يقف بارتفاعه الأصلي. وقد كشفت الحفائر الحالية عن وجود آثار لميناء كبير أمام المعبد على مسافة 19م (62 قدمًا). وفي عام 1980، قمت أنا ومارك لينر بعمل خندق على بعد 14م فقط (46 قدمًا) ناحية الشرق، وعثرنا على رمال نقية تمتد حتى صخر الأساس بعمق 6 أمتار (20 قدمًا) أسفل مستوى السطح. وعلى بعد 18م (59 قدمًا) شرق هذا الخندق، قامت وزارة الرى بالحفر لمحاولة معرفة مستوى المياه الجوفية كجزء من مشروع ترميم أبو الهول. وقد وصل حفرهم إلى عمق 14م (49 قدمًا) عبر الرمال وتسرب المياه حتى اصطدموا بسطح صلب، وهو ما يرجح وجود ميناء قديم وهو ميناء هرم خفرع. وقد خرج من الحفر بقايا جرانيتية مجلوبة من أسوان، وهو في الأغلب من معبد الوادي لخفرع، فإما أن تكون قد سقطت تلك الأجزاء أثناء عملية البناء أو أنها قد سقطت من مبان قديمة من عصور متأخرة.

وكان هذا الميناء هو مكان تجمع المراكب التي تأتي لتوصيل حمولتها من حبوب وماشية وأحجار لإمداد مشروع بناء الهرم، حيث تقوم بتفريغ حمولتها برصيف أمام معبد الوادي. وفي عام 1996م وضمن مشروع إدارة الموقع، قمنا بإزالة مسرح حديث مبني من الأسمنت أمام معبد الوادي والذي كان يستخدم قديماً في إحياء بعض الحفلات مثل حفلي فرانك سيناترا وبيلي بيرل. وعندما أزلنا المسرح عثرنا على بعض التكوينات الغريبة في المنطقة الواقعة شرقي المعبد.

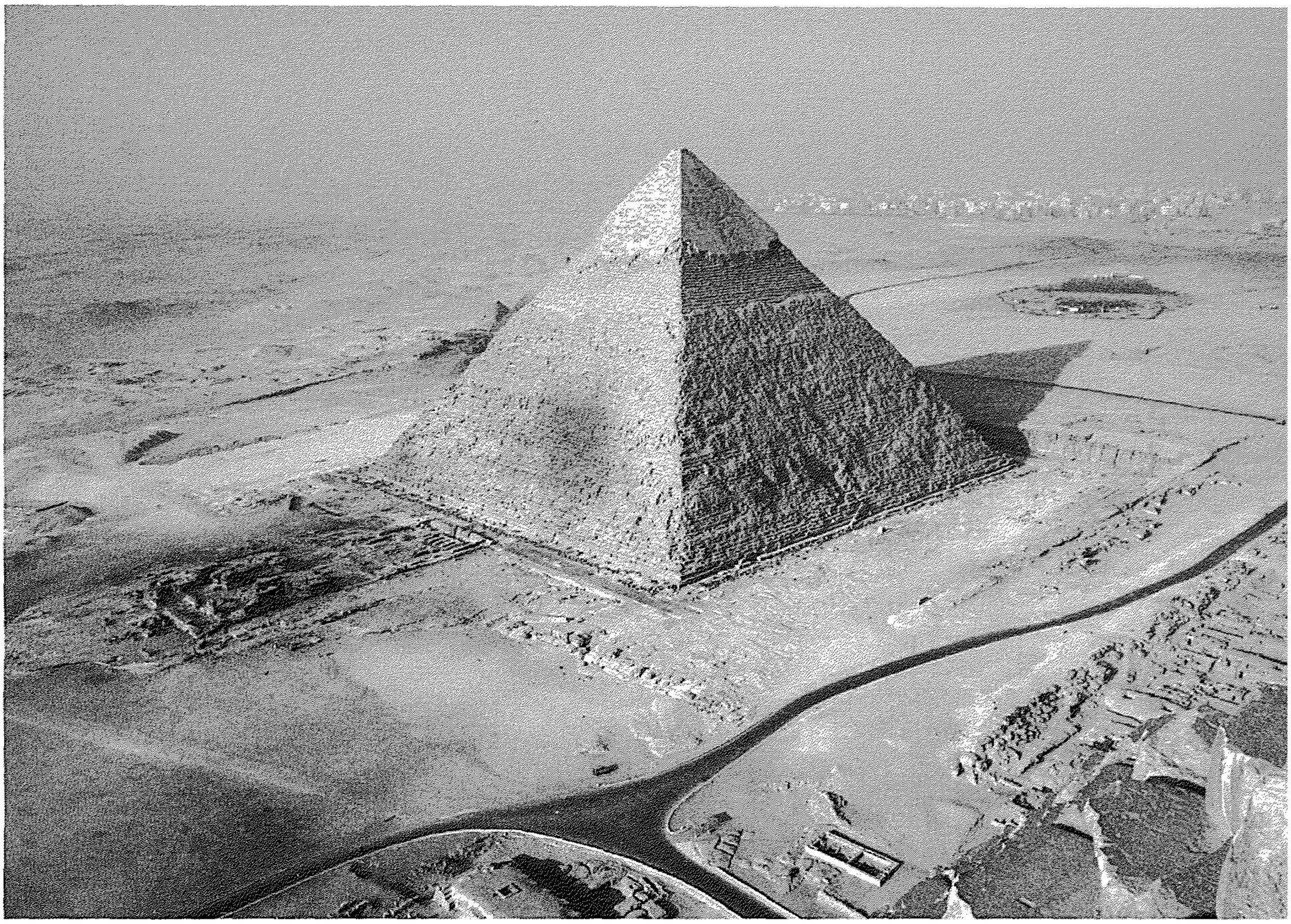

وللمعبد مدخلان يطلان على رصيف يسير بطول الواجهة. أما المدخل الشمالي فقد خصص للمعبودة باستت، في حين أن المدخل الجنوبي قد خصص للمعبودة حتحور. وهذان المعبدان يمثلان فكرة ازدواجية الشمال والجنوب للتأكيد على وظيفة الملك كملك على الأرضين ويؤدي هذان المدخلان إلى طريقين من الحجر الجيري ينتهيان بمنحدرين هابطين يؤديان إلى رصيف الميناء المزمع اكتشافه. ويصل طول كل من المنحدرين إلى نحو أكثر من 24م (79 قدمًا) و1.2–1.5م (4–5 أقدام) في العرض. وتدل بعض الحفرات بسطح الصخر على وجود أبواب خشبية كانت تغلق مقاصير المداخل.

وأسفل كل منحدر يوجد خندق أو نفق منقور بصخر الأساس، كما بُنِيَ جداران متوازيان من الطوب اللبن بين الأنفاق وعند جانبهم الشمالي والجنوبي مكونة ممرًّا بعد أربعة أمتار (13 قدمًا). وهناك دليل من الدولة الحديثة يشير إلى أن الملك كان يحتاج إلى مراكب للسيطرة على الأرضين، سواء من الناحية الرمزية أو العملية. وأعتقد أن تلك الأنفاق قد خصصت لمراكب الملك المقدسة بصفته حورس. في حين يرى لينر أن تلك الأنفاق عبارة عن

■ منظر عام لهرم الملك خفرع– هضبة الجيزة.

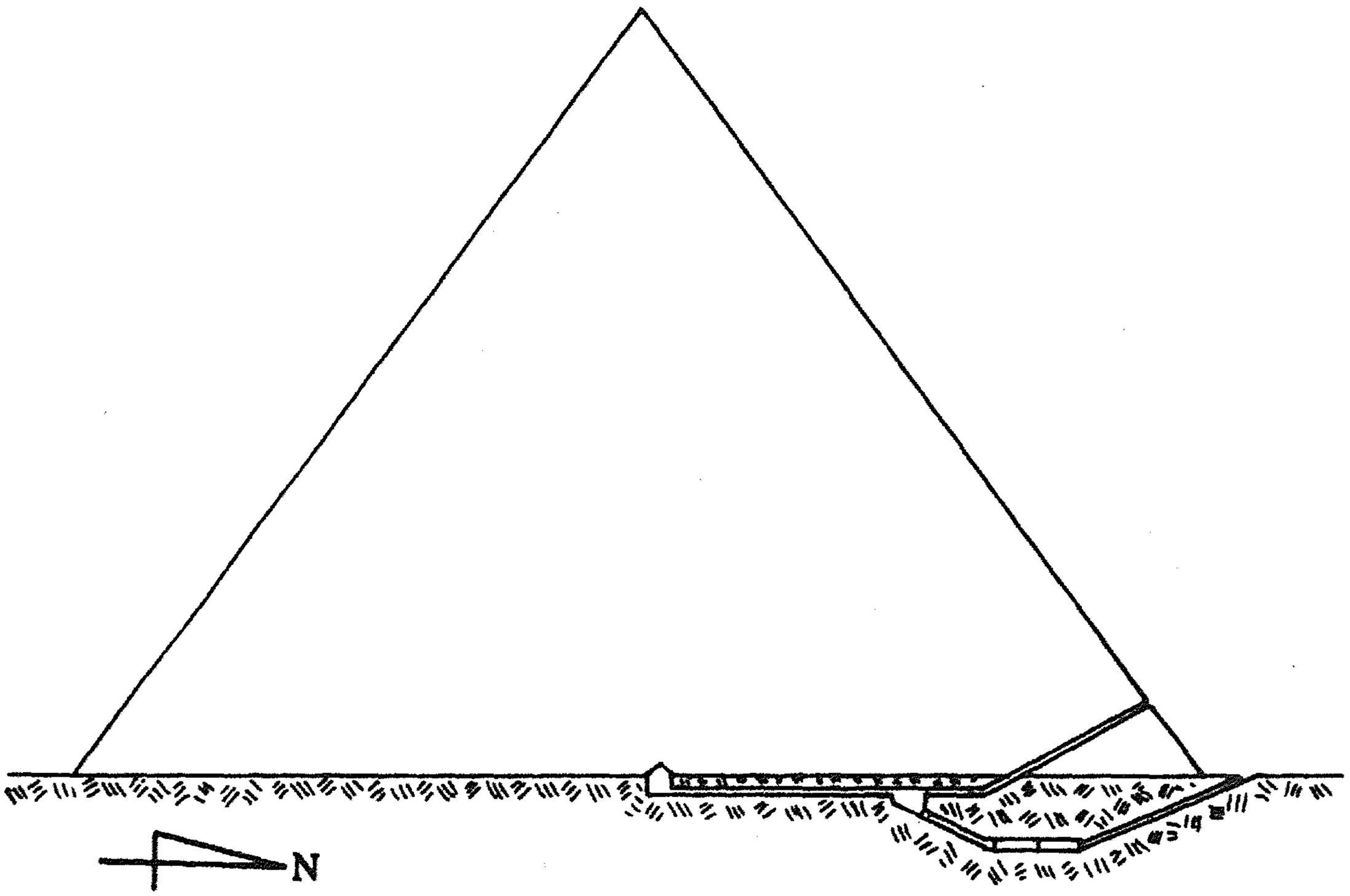

مستودعات للمياه لهؤلاء الذين يجاورون المعبد عن طريق تلك المنحدرات عبر المقاصير إلى المكان المقدس، كما يمكن أن تكون ممرات يمكن من خلالها أن يعبر العمال والأشخاص غير الرسميين إلى المناطق المقدسة حول الهرم من خلال الشمال إلى الجنوب دون الحاجة إلى الالتفاف حول المجموعة كلها.

وتصل الشرفة أمام المعبد نحو 6.7م (22 قدمًا) من الشرق للغرب. وقد كشفت حفائرنا بتلك المنطقة على مواضع لأربعة تماثيل لأبو الهول، كل اثنين يتاخمان المدخل. بالإضافة إلى آثار لخيمة التحنيط والتي يتم بها وضع جثمان الملك على سرير ويتم تغسيله. وبالناحية الشمالية الشرقية يوجد رصيف من الطوب اللبن، والذي استخدم كمنطقة استطلاع استخدمتها الأسرة الملكية.

ويحيط بمعبد الوادي من الثلاث جهات جدار محيط من الحجر الجيري والذي مازال جزءه الجنوبي قائماً. وكان قلب المعبد مبني من كتل من الحجر الجيري، والتي كسيت بعد ذلك بالجرانيت الوردي المجلوب من أسوان.

■ مخطط يظهر الممرات والحجرات داخل هرم خفرع.

وهناك أدلة بالنيشات المرتفعة بالجدران الخلفية على وجود تماثيل لقردة البابون المهللة لأشعة الشمس. أما الأرضية فقد رصفت بالألباستر الأصفر اللامع وذلك لربط الملك برب الشمس.

ولم يتم زخرفة الجدران، في حين تم الكشف عن مواضع لـ23 أو 24 تمثالاً للملك والتي كانت بديلاً عن زخارف الجدران. وكانت تلك التماثيل تحد الحجرة الرئيسية والتي كانت على شكل T. وقد عثر أوجست ماريت Auguste Mariette أول مدير لمصلحة الآثار على بقايا تلك التماثل داخل حفرة بالجزء الشمالي لدهليز المعبد، حيث خبئت في وقت ما قديمًا.

وأشهر تلك التماثيل الموجودة بالمتحف المصري، ذلك التمثال الذي يعد من روائع الفن المصري القديم، والذي يمثل الملك مرتديًا نقبة قصيرة وغطاء الرأس المعروف بالنمس، وجالسًا على عرش ذي مسند مرتفع والذي يعلوه الصقر حورس ناشرًا جناحيه حول رأس الملك. ويرمز التمثال لتعريف خفرع بحورس، كما يجعله تحت حماية هذا المعبود، حيث يظهر وكأن حورس سوف يأخذ الملك ليطير به. وفي تفسير آخر، فإن التمثال يمثل ثالوث أوزير وإيزيس وحورس، حيث يرمز العرش لإيزيس والملك نفسه هو أوزير، في حين أن الصقر خلفه هو حورس. والتمثال مصنوع من الديوريت وهو حجر صلب، يأتي من صحارى النوبة، وتبلغ قمة الإبداع في قدرة الفنان على منح الحياة للتمثال، وكأن العروق الملكية تكاد تسير أسفل الجلد.

وقد تم تسقيف المعبد وإن ظلت هناك بعض الفجوات بالقمة؛ وذلك للسماح لضوء الشمس بالدخول والانعكاس على الأرضية المصنوعة من الألباستر. وبالإضافة إلى الحجرة الرئيسية، فإن هناك مجموعتين من المخازن.

■ أوجست ماريت.

ومن الحجرة الرئيسية يسير ممر إلى الطريق الصاعد يسير ناحية الغرب لنحو ربع ميل وهو محاط بجدران مكسوة بالحجر الجيري الجيد، وإن كان لا يوجد أي دليل على كونها مزخرفة. وينتهي الطريق الصاعد عند المعبد الجنائزي أمام الهرم نفسه، وهذا المعبد يعد أكبر معبد معروف من عصر الدولة القديمة والذي يحوي العديد من تماثيل الملك.

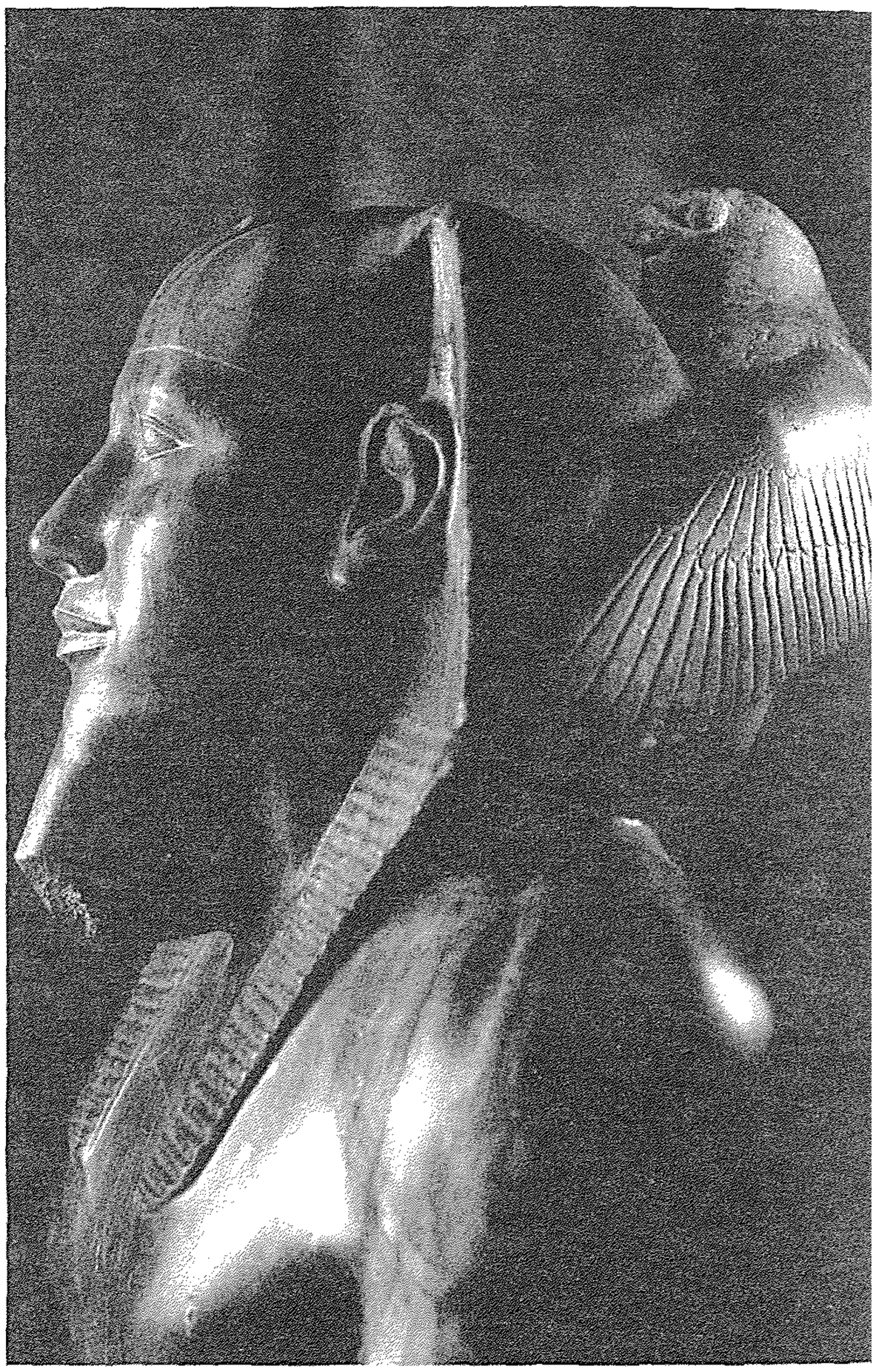

وقد بني هذا المعبد من كتل من الحجر الجيري المحلي، والتي قد تصل إلى أكثر من 200 طن. ويعكس التخطيط العام للمعبد الأسلوب العام للدولة القديمة، حيث يتكون من صالة استقبال وفناء وخمس نيشات وحجرات قرابين ومخازن. وقد أطلق المصريون أسماء على أجزاء المعبد، فقد أطلقوا على الدهليز "بر ورو"؛ أي مكان العظماء، أما الفناء فكان "أوسخت"؛ أي الفسيح، في حين سمي قدس الأقداس "تبخت"؛ أي التجويف. ويضم فناء هذا المعبد طاولة كبيرة خصصت لوضع القرابين. أما النيشات الخمس فقد احتوت على تماثيل للملك والمعبودات، حيث احتوت 3 منها على تماثيل لخفرع كمعبود، ونيشة لتمثال الربة حتحور، في حين أن الخامسة احتوت على تمثال لخوفو بصفته رب الشمس رع. أما قدس الأقداس والذي لم يكن مسموحًا إلاَّ للملك والكهنة بدخوله، فيقع غربي الفناء. وعند قاعدة الهرم توجد منطقة للقرابين والتي تتكون من مذبح ولوحتين.

أما الهرم نفسه فهو محاط بجدار محيط وفناء. ومثل هرم والده، بني هرم خفرع من الحجر الجيري المحلى، وكسي بالحجر الجيري المجلوب من محاجر طره، حيث مازالت بقاياه موجودة بقمة الهرم. وعلى عكس هرم خوفو الذي لم يستخدم سوى الحجر الجيري لكساء الهرم، فإن خفرع قد استخدم الجرانيت الوردي لكساء هرمه.

■ تمثال خفرع والإله حورس– ديوريت– المتحف المصري.

وهناك التواء بسيط بالقمة يدل على أن مهندسي خفرع لم يكونوا ببراعة مهندسي والده، حيث إن اتجاه الهرم لم يكن ناحية الشرق مباشرة، وكان على المهندسين اجتناب هذا الخطأ.

وهناك ممران من المدخل يؤديان إلى الحجرات الداخلية وهو ما يشير إلى حدوث تغيير في التخطيط في وقت ما نتيجة تغيير حجم أو موقع قاعدة الهرم. ويبدأ أحد الممرين بجسم الهرم نحو 11.5م (38 قدمًا) فوق مستوى القاعدة خلف الجانب الشمالي، والذي ينحدر أسفل مستوى الأرض حتى يصل إلى ممر أفقي، ثم ينحدر مرة أخرى ليصل إلى ممر أفقي آخر، الذي يؤدي بدوره إلى حجرة الدفن. وبطول الممر الأفقي الذي يقترب من المدخل الثاني توجد حجرة مستطيلة والتي لا تتضح وظيفتها، حيث يحتمل أن تكون بمثابة سرداب لحفظ تمثال الملك.

■ بلزوني.

تقع حجرة الدفن شرقي منتصف الهرم. وبالقرب من الجدار الغربي لتلك الحجرة، يوجد تابوت من الجرانيت الأسود ملتصق بالأرض ومغطى بغطاء. وهناك ثقوب بباطن الغطاء تشير إلى محاولة إغلاقه بإبر نحاسية كانت تتعلق بحفرات مقابلة بالتابوت. وعند دخول تلك الحجرة لأول مرة في عام 1818م (على يد لاعب سيرك إيطالى تحول إلى أثري يدعى جيوفاني بلزوني Giovanni Belzoni)، عثر على عظام ثور داخل هذا التابوت. وقد عثر على حفرة يبلغ طولها 76سم (30 بوصة)، وعرضها 72سم (28 بوصة)، وعمقها 70سم (27 بوصة) منقورة بأرضية الحجرة والتي يحتمل أن تكون مكانًا لصندوق الأواني الكانوبية التي تحمل أحشاء الملك. وعلى الرغم من أن الحجرات الداخلية لخفرع لم تكن ملفتة مثل حجرات هرم خوفو، إلا أنها كانت ذات طابع وتصميم فريد. وكان الممر الهابط العلوي مكسوًّا بالجرانيت في حين أن نظام البناء ككل يتميز بطابع من البساطة والروعة.

والجدير بالملاحظة أن الحجرات داخل الهرم تقع تحت الأرض وهو على عكس حجرات هرم خوفو، فيبدو أنها قد بنيت داخل فجوة كما خطط جدف رع بهرمه. ويشير التكوين البسيط للممر وحجرة الدفن أن البناة قد حاولوا تلافي العديد من المشاكل التي واجهت بناة هرم خوفو. ومن غير المحتمل أن تكون حجرة الدفن الحقيقية لهرم خفرع مختفية بمكان ما داخل الهرم. على الرغم من العديد من البعثات التي استخدمت أشعة X ونظام الرادار للبحث عن حجرات خفية! وقد نجح البعض منهم في الكشف عن تجاويف، إلا أن الصخر الداخلي منقور بطريقة غير منتظمة، كما أنه يحتوي على فجوات. ومع ذلك، فإنه من المرجح أن ملوك تلك الأسرة كانوا أكثر مهارة منا جميعاً، حيث نجحوا في إخفاء حجرات دفنهم من لصوص المقابر. وفي يوم ما يمكن أن نبتكر تقنيات أحدث في محاولة للكشف عن الأسرار ومعرفة الحقيقة.

وإلى الجنوب من هرم خفرع، عثر على بقايا هرم آخر، إما أن يكون هريمًا أو هرمًا ثانويًّا لإحدى الملكات. وفي عام 1960م وعلى بعد 4 أمتار (13 قدمًا) غربي الهرم على محور شرق–غرب، عثر عبد الحفيظ عبد العال والذي كان يعمل أمينًا لمنطقة الهرم وبعد ذلك مديرًا للحفائر بمصلحة الآثار على ممر مغلق ينحدر لأسفل 7.15م (23 قدمًا) تقريبًا في الطول، وعند نهايته بالجانب الجنوبي عثر على نيشة صغيرة بطول 1.19م (4 أقدام)، وداخلها صندوق مغلق بوتر يحتوي على 3 قطع خشبية، والتي أعيد تشكيلها على هيئة أربعة أعمدة تحمل حلية الكورنيش. وهناك بعض المناظر من مقابر الدولة القديمة،

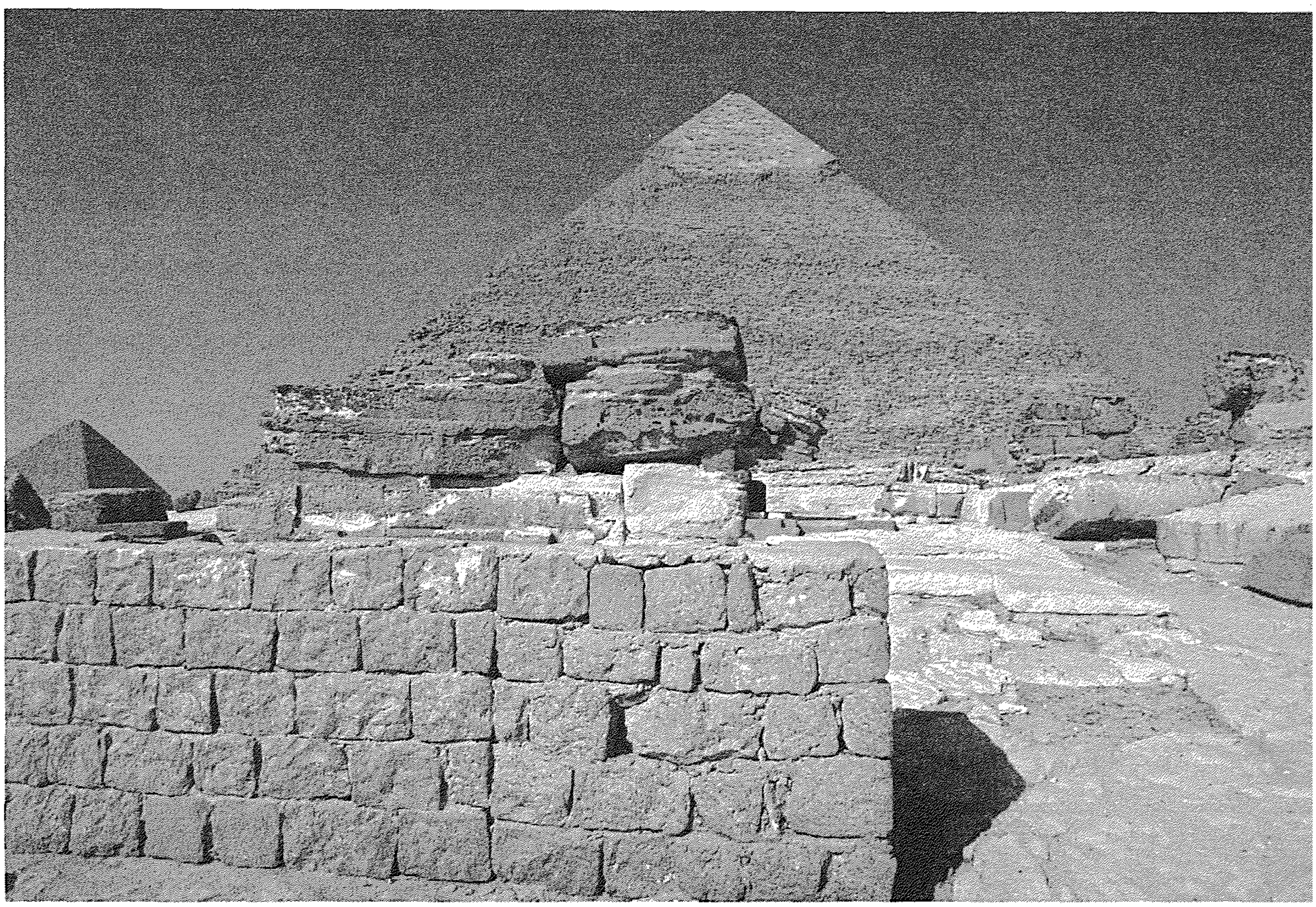

والتي تمثل عمليات نقل التماثيل الجنائزية داخل مقاصير كبيرة على نفس هذا الشكل. ويشير هذا الممر الخاص بالهرم الجانبي إلى أنه كان بمثابة ملحق بتكوين الهرم. كما تشير دفنة مقصورة التمثال إلى أن التمثال كان ينقل إلى الهرم الجانبي ويوضع بحجرة الدفن. ولا يوجد أي دليل على أن هذا الهرم قد استخدم للدفن، ولكن يبدو أنه كان هرمًا عقائديًا أكثر منه هرمًا لملكة.

وهناك منطقة ذات شرفات ضيقة (نحو أكثر من مائة شرفة) والتي تسير غربي هرم خفرع، والتي تعرف بمساكن العمال وهو الاسم الذي أطلقه مكتشفها فلندرز بتري.F.Petrie وقد أثبتت عمليات التنظيف الحديثة أن تلك التسمية هي تسمية غير صحيحة، حيث إنها استخدمت كمخزن للطعام المطلوب للعقيدة الجنائزية، كما كانت بمثابة ورشة لإعداد الأدوات الطقسية.

ومازال بعض العلماء يتجادلون حول وظيفة المجموعة الهرمية ككل، ووظيفة كل عنصر على حدة. بالنسبة للأسرة الرابعة، فإن مجموعة خفرع هي الأكثر اكتمالاً مما يجعلها تستخدم كدليل على مختلف التفسيرات، وقد حدد بعض علماء

■ منظر عام آخر لهرم الملك خفرع– هضبة الجيزة.

المصريات تلك الفجوات بسقف معبد الوادي بأنها مواضع لخيمة التطهير كدليل على مراسم التحنيط، التي كانت تضم جثمان الملك داخل المعبد نفسه. وبعد تحنيط الملك يقوم كبير الكهنة وهو في نفس الوقت ولي العهد بوضع المومياء داخل التابوت، كما يقود المراسم الجنائزية عبر الطريق الصاعد حتى المعبد الجنائزي. وداخل هذا المعبد يقوم الكهنة بتلاوة الصلوات وإقامة الطقوس، ومن ثم يمرون به عبر المعبد إلى داخل فناء الهرم، ثم إلى الهرم نفسه، حيث يرقد الملك داخله إلى الأبد.

ومع ذلك، فإن مناظر جدران المعابد والطريق الصاعد لا تحتوي على أي وصف للجنازة؛ لذا فتلك الطقوس لا تعد مؤكدة. ومن الملاحظ أن الباب الذي يربط المعبد الجنائزي بفناء الهرم شديد الضيق بحيث لا يسمح بمرور موكب جنائزي. وبالإضافة إلى ذلك، فإن حفائرنا الحديثة أمام معبد الوادي قد أكدت أن عملية تطهير جسد الملك، كانت تتم على رصيف خارج المعبد، في حين أن عملية التحنيط تتم داخل إحدى الورش ناحية الجنوب.

وقد اقترح علماء آخرون بأن معبد الوادي قد استخدم على يد الملك بمثابة استراحة أثناء زيارته للمجموعة الهرمية أثناء بنائها. ومع ذلك، وبعد معرفتنا بأن الملك كان يعيش داخل قصر على حافة الهضبة، الأمر الذي ينفي استخدام الملك لمعبد الوادي كاستراحة. وهناك اقتراح آخر يشير إلى استخدام المعبد في الأعياد. وطبقًا لتلك النظرية، فإن العامة يقادون بواسطة الكهنة ليبجلوا التماثيل الموجودة داخل المعبد، كما يقدمون القرابين هناك، حيث تتلى الصلوات وتعزف الموسيقى، كما يبارك الكهنة العامة الذين ينتقلون عبر الباب الخلفي إلى الطريق الصاعد ليسيروا نصف كيلومتر تقريبًا ومنه إلى المعبد الجنائزي. ولكننا متأكدون من أن الدخول إلى المجموعة كان مقصورًا على الكهنة فقط مما يقلل من حقيقة تلك النظرية.

ومن خلال تحليل عمارة المجموعات الهرمية للأسرة الرابعة والمناظر المنقوشة على الجدران، بالإضافة إلى المصادر النصية، فإننا نعرف أن تلك المجموعات الهرمية كانت بمثابة مراكز عبادة خصصت للعقيدة الملكية، كما كانت مكاناً مقدساً يمارس فيه الملك بصفته حورس مهامه (كالدفاع عن البلاد ضد الأعداء والقيام بطقوس عيد السد). وهو في المقابل يمنحه الاندماج مع رب الشمس. وهناك تسلسل خاص بالمجموعة الهرمية، حيث يظهر الملك بصفته حورس جليًّا بمعبد الوادي والطريق الصاعد ومن ثم يؤدي دور رع بالمعبد الجنائزي. أما الملكة، فتؤدي دورًا هامًّا بصفتها حتحور ابنة رع وزوجة حورس. وهذا التقسيم يجعل من المجموعة الهرمية تعبيرًا

معماريًا لنظرة المصري القديم الدينية والتي صنعت كاملة من الحجر.

أبو الهول العظيم

هذا التمثال نحت على شكل رأس إنسان وجسد أسد يرقد عند الطرف الشرقي للجبانة؛ كي يحمى مدخل هذا المكان المقدس، والذي دفن فيه الملك خفرع وأبوه خوفو ومن بعده ابنه منكاورع فيما بعد. وقد نحت التمثال من صخر الهضبة والذي يتكون من 3 طبقات متنوعة من الحجر الجيري. وقد بدأت فكرة أبو الهول فى البداية على يد الملك جدف رع، والذي يعد رمزاً من رموز الشمس كما كان رمزًا للملكية وقوتها المتمثلة في قوة وصرامة الأسد. ويعد تمثال أبو الهول أكبر وأضخم التماثيل التي وصلتنا من مصر القديمة.

وبداية من عام 1988م بدأنا في إعداد برنامج ترميم ذلك التمثال المهيب وصيانة أجزاء منه، والتي سقطت وذلك لحمايته للأجيال القادمة. وعندما بدأنا تنفيذ هذا البرنامج كان جسد أبو الهول في حالة سيئة وإن كانت الرأس أفضل بقليل.

■ تمثال أبو الهول العظيم– هضبة الجيزة.

وقد أشركنا معنا اثنين من أشهر النحاتين في هذا المشروع. وذلك كي نستطيع لأول مرة فهم تصميم وشكل أبو الهول، ومن هنا نستطيع فهم قدرات الفنان المصري القديم ومعرفة التكنولوجيا التي استخدموها في نحت ذلك التمثال الرهيب.

فمن أجل نحت تمثال أبو الهول، قام النحاتون في البداية بإزالة جميع الأحجار والصخور المحيطة على شكل U مكونة خندقًا منفصلًا عن الصخرة الأم. ويتكون جسد أبو الهول من طبقات رديئة المستوى (معروفة لدى علماء الجيولوجيا باسم الطبقة 2 أو Member II)، وتلك الطبقة كانت عرضة للتغيرات الجوية، وهو ما أثر عليها بسهولة ويحولها إلى قطع مفككة وبرادة. أما الطبقة الأسفل من جسد أبو الهول والمُشَكِّلة لقاعدته فلا تتأثر بالطقس مثل السابقة، ولكنها خشنة وهشة (member I). وهناك شقوق كبيرة بجسد أبو الهول تمر عبر الطبقة II وتصل حتى الطبقة I. وبما أن الحجر الجيري قد تكون منذ وقت طويل قبل نزوح المصريين إلى الجيزة فإن طبقات جسد أبو الهول كانت بالفعل في حالة سيئة إبان الدولة القديمة.

أما الطبقة التي تشكل وجه أبو الهول ورأسه ولحيته ورقبته (الطبقة Member III) فكانت أكثر صلابة، ومن مادة أجود من الحجر الجيري، كما كانت أكثر احتمالاً للأحوال الجوية والرياح التي تهب على التمثال من الصحراء، وقد نجح النحات المصري القديم في استخدام هذا الصخر في نحت قطعة فريدة من الفن المصري القديم، والتي قاومت عوامل التلف الطبيعية. وكانت من أشهر الأضرار التي لحقت بالتمثال هي تلك الإصابة الخاصة بأنفه المفقود، والتي كانت بسبب أحد المتصوفين المتشددين بالقرن الخامس عشر الميلادي.

أما بخصوص لحيته المفقودة، فقد جرى العديد من المناقشات والجدل حولها، فإننا نعرف أن أبو الهول كان يرتدي لحية مستعارة، وقد تم اكتشاف قطع متعددة منها منذ قرون مضت، وعلى عكس اللحيات الملكية بتماثيل أبو الهول الأخرى ذات النهاية العريضة، فإن لحية أبو الهول العظيم كانت طويلة ومعقوفة بصفتها لحية معبود. ويمكن رؤية مثل تلك اللحية لأبو الهول في نقوش الأسرة الخامسة. ويرى بعض العلماء أن تلك اللحية لا ترجع لعهد الدولة القديمة عندما تم نحت التمثال، ولكنها إضافة من عهد الدولة الحديثة عندما تمت بعض الإصلاحات لهذا التمثال. وتشير الدراسات الجيولوجية الحديثة إلى أن اللحية ترجع لعهد الدولة القديمة، كما كانت جزءًا من البروز الجيري الذي نحت منه جسم التمثال.

وحتى دون تلك المعلومة، لا يمكن التخيل بأن تلك اللحية قد أضيفت كجزء منفصل، حيث كان من الصعب القيام بإضافته بشكل دقيق.

وفي عام 1983م، انتاب القلق بعض المسئولين من هيئة الآثار المصرية نتيجة لكون رأس أبو الهول في خطر مما دعاهم إلى اقتراح إعادة تكوين اللحية كي تدعم الرأس. و لم يتم عمل أية إجراءات أو أية دراسات علمية؛ وذلك لأن المخاوف التي أحيطت بالتمثال كانت واهية ولا تستند على أي دليل علمي أو جيولوجي. وفي عام 1989م قامت منظمة اليونسكو بعقد تحقيق علمي برئاسة المعهد الفرنسي لاختبار الرأس ومنطقة الرقبة. كما استخدم اليونسكو تقنيات الموجات فوق الصوتية لهذا الغرض. وبالإضافة إلى ذلك قامت مجموعة من العلماء بأخذ عينات مختلفة من جسد أبو الهول لتحليلها من أجل الوصول لطريقة مثلى في ترميم التمثال.

وكانت من أهم النتائج التي خرجت من الأبحاث والتحاليل أن رأس وعنق أبو الهول هما أقوى جزء بالتمثال. كما أن فكرة إعادة تكوين اللحية لم تكن ضرورية لتدعيم الرأس. وقد كنت في غاية السعادة بعد صدور تلك النتائج، حيث إنني لم أشعر بالراحة نتيجة لفكرة إعادة تكوين اللحية والتي سوف تغير من الشكل المألوف لوجه أبو الهول، والذي تعودنا عليه. هذا بالإضافة إلى أنه لا يوجد لدينا سواء بالمتحف المصري أو المتحف البريطاني أكثر من 13 ٪ من اللحية الأصلية. ومع ذلك، فإن إحدى النتائج الإيجابية لتلك المناقشة هي تلك الخرائط الفوتوجراماتية لأبو الهول والتي ساعدتنا على إعادة تكوين الشكل الأصلي لهذا الأثر الهام.

ومع نحت جسم أبو الهول في الصخرة الأم، قام نحاتو الدولة القديمة باستخدام كتل من الحجر الجيري الجيد المجلوب من طره لكساء الجسم، كما تم نحت بعض التفاصيل والأقدام والذيل بدلاً من النقر في الصخر الرديء. وقد سقط العديد من تلك الكتل في الوقت الذي قامت مجهودات قديمة ومعاصرة مختلفة لإعادة تشكيلها مرة أخرى عبر ألف عام، وكان أحدثها تلك المحاولات فيما بين عامي 1988–1998م خلال مشروعنا لترميم أبو الهول.

ومن المثير أن جسد أبو الهول العظيم كان أكبر وأطول من ناحية التناسق مع الرأس. وهذا الأمر يدل على أن الموقع المثالي للتمثال على أعلى درجة من الأهمية، كما أن المصريين القدماء قد تفهموا جيولوجية صخر الأساس؛

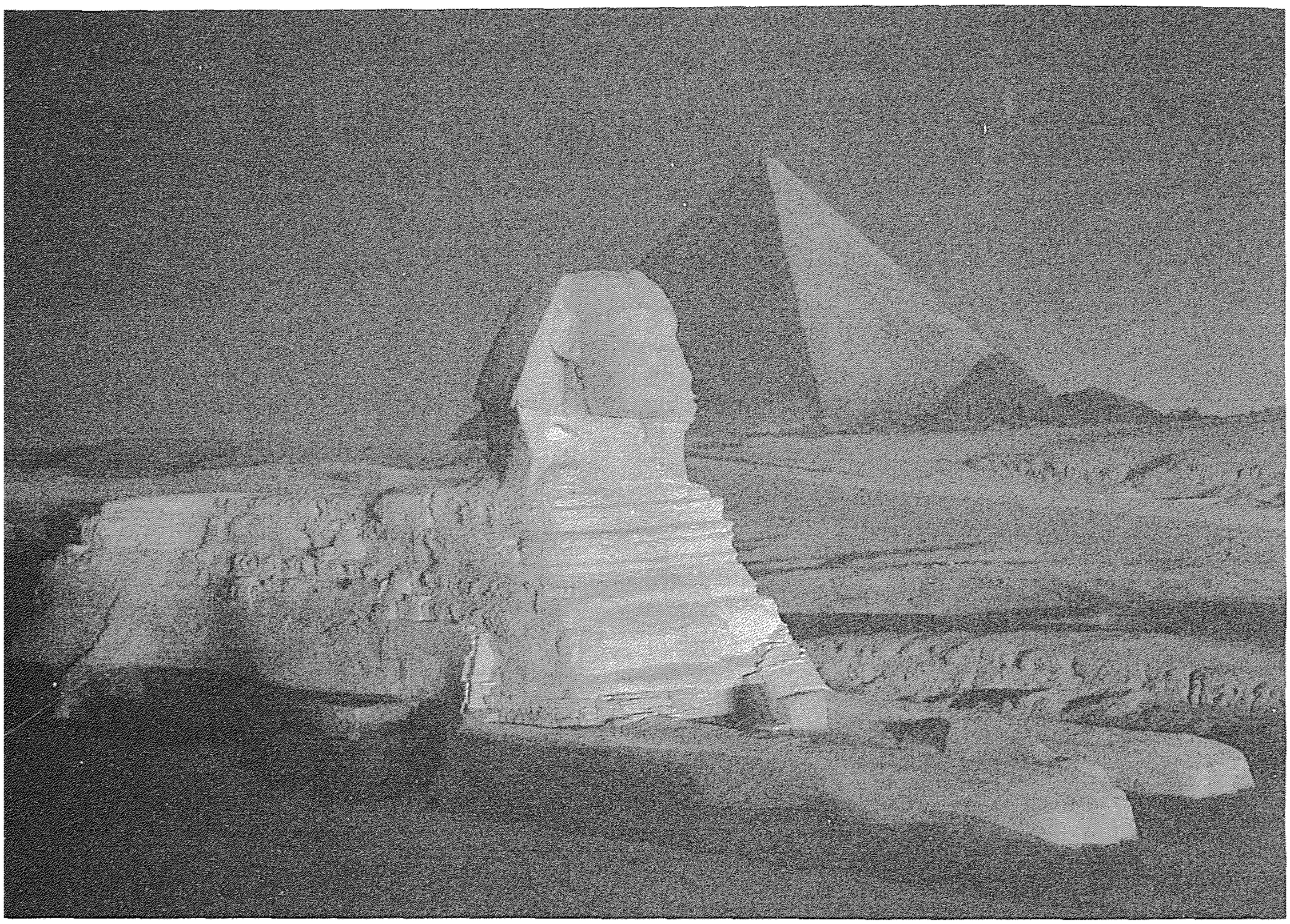

لذا، فقد نجحوا في فصل قلب الصخر بطريقة تسمح للنحاتين بنحت الرأس بالطبقة III الصلبة والتي تسير فوق الطبقتين الضعيفتين I وII.

تأريخ أبو الهول

خرجت العديد من النظريات حول تأريخ أبو الهول العظيم، حيث أراد بعض الهواة والدجالين أن يقنعونا بأنه قد نحت منذ 10 آلاف عام مضت عندما أتى بعض الأقوام من قارة أطلانتس المفقودة (وهي حضارة وهمية ليس لوجودها أي دليل) إلى مصر، وقاموا ببناء منازل لهم وتهدمت بفعل الطبيعة. وقد حاول هؤلاء الهواة التأكيد بكافة المعلومات البراقة عن العوامل الجوية والطوفان لإثبات نظرياتهم، ولكن كافة ادعاءاتهم واهية وغير منطقية. وهناك من رأى أن هناك كائنات فضائية قد غزت الأرض ونحتت هذا التمثال. وجميع تلك النظريات سخيفة وغير علمية وهو ما يليق فقط بأفلام الخيال العلمي.

■ تمثال أبو الهول العظيم– هضبة الجيزة.

أما الرأي العلمي الصحيح هو أن تمثال أبو الهول يرجع للأسرة الرابعة؛ أي في عام 2600 ق.م. وكانت رأس التمثال تمثل رأس ملك يرتدي الزي الملكي المصري التقليدي، حيث غطاء الرأس الملكي (النمس) وعلى رأسه حية الكوبرا وأسفل الرأس تظهر بقايا اللحية المستعارة، ويرى العديد من العلماء – ومنهم مؤلف هذا الكتاب – أن تلك الرأس تمثل الملك خفرع كما أنه جزء من مجموعته الهرمية وهي فكرة جاستون ماسبيرو Gaston Maspero ثاني مدير لمصلحة الآثار. وهناك دراسة حديثة هامة شاملة تؤرخ زمن أبو الهول لعصر خفرع، ومع ذلك فإن هناك مدرسة من العلماء يقودها شتادلمان تشير إلى أن أبو الهول يمثل خوفو أكثر من خفرع.

وللأسف، لا نعرف أية نصوص معاصرة يمكن أن تخبرنا عن هوية الذي قام بنحت أبو الهول، ولدينا نص واحد هام متعلق به يعرف بلوحة الإحصاء أو لوحة ابنة خوفو. وقد تحدثنا عن تلك اللوحة مسبقاً عند حديثنا عن هرم خوفو الجانبي برقم GI-c. ولإنعاش ذاكرتكم، فإن تلك اللوحة ترجع للعصر المتأخر (700–500 ق.م) وتقع بمعبد إيزيس على أطلال المقصورة الشرقية الخاصة بهذا الهرم الجانبي. وما يتعلق بهذا الموضوع بهذه اللوحة والتي ترجع لعهد المعبد؛ أي نحو ألفي عام بعد وفاة خوفو، يشير إلى أن خوفو قد قام ببناء معبد إيزيس بالقرب من بيت أبو الهول شمالي بيت أوزير، ومن ثم قام ببناء هرمه بجوار هذا المعبد.

ويمكن الخروج بالعديد من التأويلات على يد هؤلاء الذين آمنوا بفكر بناء الهرم على يد مخلوقات فضائية. ومع ذلك، فإن مرور ألفي عام بعد وفاة خوفو هو زمن طويل في الوقت الذي نحتاج فيه إلى مصدر أكثر دقة ووضوحًا عن ذلك النص، وهناك العديد من الاحتمالات التي ترجح تأريخ أبو الهول لعهد خفرع أكثر من خوفو، فبدايةً من خلال الوجه والذي يشابه وجوه تماثيل خفرع، في حين أن التمثال الوحيد للملك خوفو فيرجع لعهد الأسرة 26 وهو ما لا يشابه وجه أبو الهول.

أما عن موقع أبو الهول بمدخل مجموعة خفرع، فهو يشير بوضوح إلى كونه تمثالاً ضخمًا لتمثيل الملك. كما أن النواحي الأثرية للمكان ترجح هذا الاحتمال. أما الخندق الواقع جنوبي أبو الهول على شكل U والذي يشكل الحد الشمالي للطريق الصاعد لخفرع فيسير فوق أبو الهول ويدخل معبد الوادي الخاص بخفرع. وهناك قناة صرف تسير بطول الجانب الشمالي للطريق الصاعد وتفتح بالركن الجنوبي الغربي العلوي لخندق أبو الهول، وهو ما يشير إلى أن الطريق الصاعد قد نقر قبل الانتهاء من عمل خندق أبو الهول.

وهناك نظرية قديمة اعتنقها العديد من العلماء دون نقاش، وهي أن المشرف على جميع أعمال خفرع قد حول كتلة صخرية ضخمة إلى تمثال للملك خفرع برأس الملك وجسد أسد، ومن خلال بعض التحليلات التي قام بها مارك لينر، استنتج أن موقع أبو الهول قد اختير بعناية كي يتعلق بهرم خفرع. وأعتقد أنه عندما قام المصريون القدماء بنقر الحجر الجيري من منطقة أبو الهول لبناء المجموعة الهرمية لخفرع، فإن المشرف على الأعمال (ربما عنخ حا إف) قد بدر إلى ذهنه فكرة أبو الهول، وأمر بنقره في الصخر حتى يبقى بتلك المنطقة؛ لذا فإنه من المرجح أن التخطيط الأساسي للمجموعة الهرمية للملك خفرع تضم أبو الهول كعنصر أساسي.

وينظر أبو الهول ناحية الشرق ويحتضن أمامه معبدًا صغيرًا يعرف باسم معبد أبو الهول. وكانت العلاقة بين معابد خفرع وبين معبد أبو الهول تربط بين أبو الهول

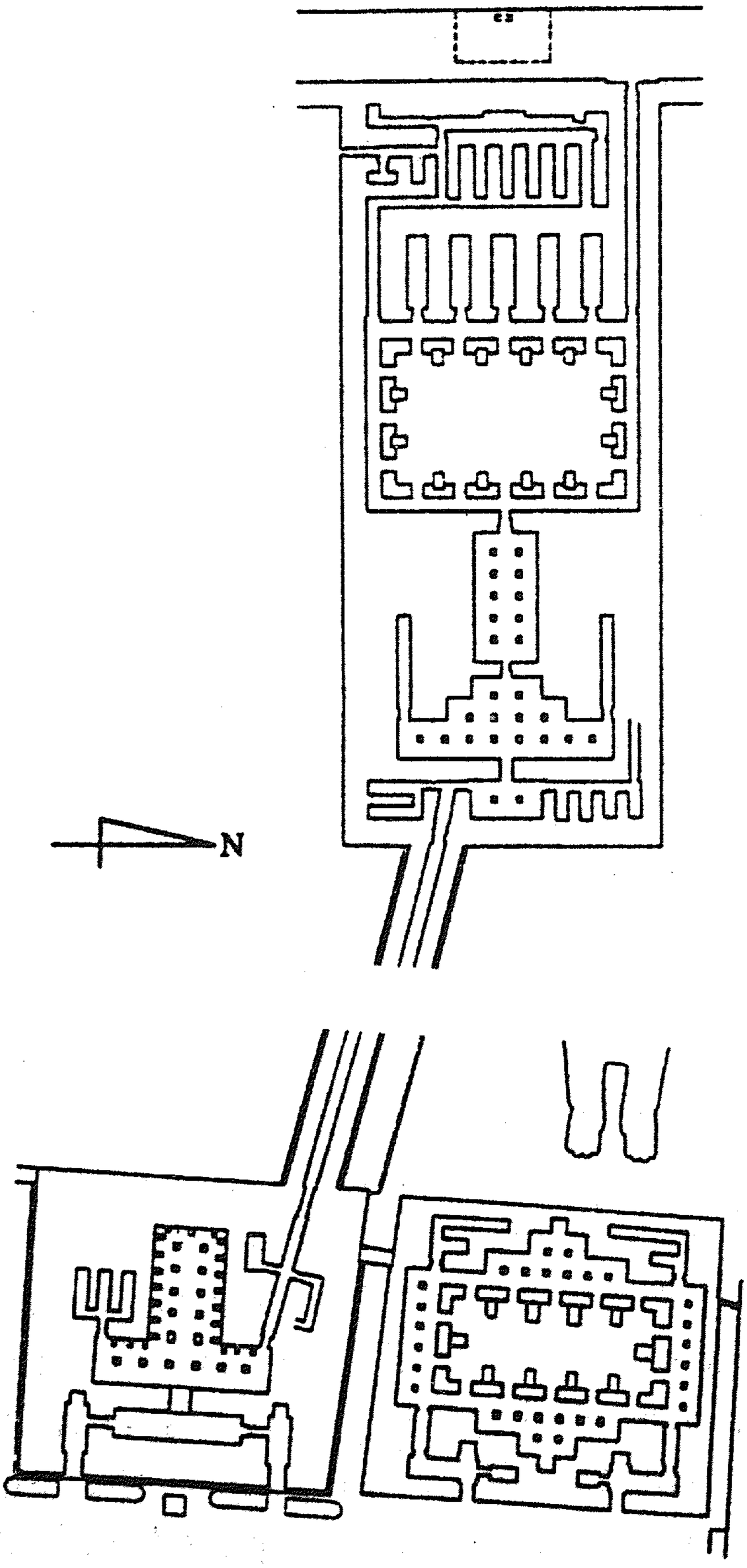

■ مخطط للمعبد الجنائزي ومعبد أبو الهول ومعبد الوادي للملك خفرع.

وخفرع، حيث إن معبد الوادي لخفرع يقع على نفس الشرفة الصخرية مثل معبد أبو الهول. وكان الجانب الأمامي من المعبد وجانبه الخلفي مصطفَّيْن نوعاً ما، كما بنيت جدرانهما بنفس الأسلوب من كتل كبيرة من الحجر الجيري بالإضافة إلى كتل صلبة من الجرانيت الأحمر في الكساء. وهناك أدلة على أن تلك الكتل الجيرية قد جلبت من خندق أبو الهول نفسه، ويضم المعبد فناءً أوسط مليئًا بتماثيل ضخمة مرتبة على شكل دائري. وقد قام عالم المصريات السويسرى هربرت ريكه Herbert Ricke بدراسة تفصيلية لمعبد أبو الهول ما بين عامي 1967 و1970م، حيث أشار إلى أن هذا الفناء هو نسخة من فناء المعبد الجنائزي لخفرع عدا عدد التماثيل، حيث يحتوي المعبد الجنائزي على 12 تمثالاً بدلاً من 10. وقد قمنا مؤخراً في مارس 2008 بعمل خمسة مجسات داخل حرم أبو الهول بعمق 8م منها بجانب القدم اليسرى واليمنى وخلف التمثال. ووجد أن منسوب المياه الجوفية يصل إلى 4.60م بالإضافة إلى أن هذه المجسات أثبتت عدم وجود أي شيء أسفل أبو الهول كما اعتقد البعض.

معنى "أبو الهول"

للأسف ليس لدينا أية نصوص معاصرة يمكن أن تخبرنا مباشرة عن معنى اسم أبو الهول.

أما عن أسماء أبو الهول فمجمل الآراء التي تناقشه هو أنه عاش في منطقة الجيزة مجموعة من الكنعانيين خلال عصر أمنحتب الثاني فتعبدوا للتمثال باعتباره صورة من معبودهم القومى "حورون" وأطلقوا عليه هذا الاسم السامي، كما أطلق عليه أيضاً "بر – حور"؛ أي قصر حورس، وعندما أتى العرب إلى مصر أطلقوا عليه اسم "أبو الهول". وكلمة سفنكس Sphinx مقتبسة من ترجمة يونانية محرفة لكلمة مصرية هي Shespu Ankh؛ أي الصورة الحية. وكانت تماثيل أبو الهول اليونانية مختلفة عن أبو الهول المصري، حيث تتكون من رأس امرأة وجسد أسد مجنح بجناحي نسر وله ذيل أفعى.

وكانت جميع النصوص المتأخرة الخاصة بأبو الهول تؤكد على تعريف أبو الهول بكونه معبودًا. وفي الدولة الحديثة أصبح أبو الهول بؤرة هامة للعامة وللعقيدة الملكية تحت مسمى "حور إم آخت"؛ أي حورس في الأفق، ومزيج بين حورس رب الملكية ورع رب الشمس. وأصبحت هيئة أبو الهول بين هرمي خوفو وخفرع تمثل هذا المفهوم من الناحية الشكلية، حيث الرمز الهيروغليفي "آخت" أو الأفق، فقد كان الهرمان يمثلان جبلَيْن عند طرفي الأفق في الوقت الذي يمثل أبو الهول الشمس الغاربة بينهما.

ولدينا أدلة أخرى حول معنى أبو الهول، فعلى سبيل المثال، نعرف من نصوص الأهرام من الدولة القديمة أن الملك كان يعرف مع رب الأرض أتوم ذلك الرب الخالق المرتبط برب الشمس رع بهليوبوليس. وكان أبو الهول والذي ينمو من الأرض نفسها يعد نموذجًا مثاليًّا لأتوم والذي خرج من الأرض في بداية الخليقة.

ونعرف من معبد أبو الهول أدلة حول معنى أبو الهول، حيث إن الفناء الأوسط المفتوح محاط بأروقة مسقوفة تحملها 24 عموداً مربعاً من الجرانيت، كما يضم المعبد قدس الأقداس، أحدهما ناحية الشرق والآخر ناحية الغرب، وهما على المحور المركزي للمعبد. وقد اعتقد ريكه أن هذا المعبد هو معبد بدائي للشمس، في حين أن أبو الهول هو تمثيل لرب الشمس. وقد نفهم أن عمارة هذا المعبد ترمز للدورة الشمسية، حيث إن قدس الأقداس الشرقي يرمز للشمس المشرقة، في حين أن قدس الأقداس الغربي يرمز للشمس الغاربة، كما أن كل عمود من تلك الأعمدة يرمز لـ24 ساعة من ساعات النهار والليل.

ومن اللافت للنظر أنه خلال فترتي الربيع والخريف، يتعامد المحور الشرقي الغربي فوق كتف أبو الهول مع نقطة غروب الشمس بالطرف الجنوبي لهرم خفرع. وهذا التعامد هو عنصر آخر يربط بين أبو الهول وبين المجموعة الهرمية لخفرع. كما يعد أحد الأدلة على أن أبو الهول ليس مجرد تمثال لمخلوق من كتلة صخرية غير مستخدمة بمحجر خوفو.

ولدى اعتقاد شخصى بأن مفهوم أبو الهول يتعلق بالعقيدة الشمسية الجديدة لخوفو، حيث إن أبو الهول – طبقًا لنظريتي– يمثل خفرع بصفته حورس في مواجهة الشرق ليتعبد لأبيه خوفو بصفته رب الشمس رع؛ لذا فإن معبد أبو الهول قد خصص لخوفو في حين أن خفرع هو الممثل الأبدي للعقيدة الخالدة.

الفصل الرابع

بلاط خفرع

إنه من المرهق أن تكون ممثلاً لحورس على الأرض.. فقبل أن يكون ملكًا، كان لديه زوجة واحدة.. والآن لديه الكثير منهن وعليه أن يوازن بين احتياجاتهن ورغباتهن في الادعاءات التنافسية بين أطفالهن... وكان يتقدم عبر السنين دون أن يعرف كيف يمكن له أن يصمد.. وكان عديد من إخوته الشباب مازالوا يأملون في الحصول على دورهم في بلوغ عرش أبيهم.. وإن كان عليه أن يختار فسوف يجعل ابنه الشاب منكاورع وريثه، إلا أن أم منكاورع والتي تدعى خع مرر نبتي كانت في ريعان شبابها وهو ما يجعلهما غير قادرين على امتلاك القوة.. فربما قام بالاستعانة بمساعدة إخوته واعداً إياهم بالجلوس على العرش العظيم في حال وعدهم بمساعدة الطفل.. ولم يعمر أحد منهم بعد وفاته..

كانت حياة الملك خفرع العائلية مشابهة لحياة والده؛ معقدة نوعاً ما، حيث كان له العديد من الأخوة الأشقاء وغير الأشقاء، عاشوا في عين حياته كما كان له على الأقل 3 زوجات و16 طفلاً. ومن المثير في الأمر أن مجموعته الهرمية لا تحتوي على أية أهرامات للملكات، فيبدو أن جميع زوجاته قد عمروا أكثر منه، أو أنه لم يرد تفضيل واحدة على الأخرى.

فعلى سبيل المثال، تم دفن الملكة مرسي عنخ الثالثة بمقبرة بديعة رقم G7530+40 بالجبانة الشرقية بدلاً من دفنها بهرم صغير. وربما كان ذلك بسبب استمرار الصراع بين فرعي جدف رع وخفرع بالعائلة، إلا أننا لسنا متيقنين من ذلك. وعلى كل حال، فإن الملكة مرسي عنخ الثالثة كانت ابنة الأمير كاوعب الابن الأكبر للملك خوفو والملكة حتب حرس الثانية. وقد عاشت بعد وفاة زوجها (وهو ما يبرر عدم دفنها بهرم)، وماتت عند عمر الخمسين. وقد نقشت مقبرتها بإبداع، وزينت بمناظر وتماثيل منحوتة في الحجر، وهو ما يمدنا بمادة خصبة عن الأسرة الملكية والمعتقدات الدينية والتحنيط وأمور أخرى تخص المصريين، الذين عاشوا إبان الأسرة الرابعة.

وبداخل مقبرتها، صورت مرسي عنخ الثالثة مرتدية رداءً حابكًا يصل حتى كاحليها. وتظهر بمنظر واحد على الأقل وهي تحمل زهرة اللوتس –رمز إعادة الولادة– قرب أنفها. أما أمها حتب حرس الثانية وأبوها كاوعب، فقد مثلا أيضاً بتلك المقبرة بالإضافة إلى العديد من الأقارب. وتتضمن المناظر المصورة على الجدران الحرفيين وهم ينفخون في أنابيب لتشكيل الذهب وصناعة الخزف، والنحاتين الذين يقومون بتشكيل تابوت، ورجال يقومون بسحب تمثال، وموسيقيين، ومغنين، وراقصين، ونشاطات زراعية، ومناظر رحلة الحج إلى أبيدوس، ومنظر لمرسي عنخ وأمها داخل مركب بالأحراش. وكانت أغلب تلك المناظر تندرج تحت نوعية مناظر يطلق عليها "مناظر الحياة اليومية". وكما ذكرت من قبل، فإن جميع مناظر المقبرة تحمل رمزية دينية، كما تهدف إلى تأكيد كل من الحياة الأبدية للمتوفي والوظيفة المناسبة لنظام الكون المصري. وفي نفس الوقت، فإنها تمدنا بقدر وافر من المعلومات حول أساليب الحياة الثرية، والمتنوعة التي عاشها المصريون القدماء.

وهناك نقش بمدخل المقبرة نعرف منه أنه قد مر 272 يوماً تقريبًا بين وفاة مرسي عنخ الثالثة وبين دفنها. وهذا الأمر غير عادي ؛ حيث إن مراسم التحنيط العادية تأخذ 72 يوماً تقريبًا؛ لذا فيبدو أنه قد حدث تأخير ما وهو ما يعد لغزًا.

وتضم تلك المقبرة ومقابر أخرى قليلة من تلك الفترة عنصراً فريداً ألا وهو مجموعة من التماثيل المنقورة في الصخر والتي يصل عددها إلى 10 تماثيل، وهي 4 لمرسي عنخ نفسها، و3 لأمها، و3 لبناتها. ويحمل تابوتها نقشًا يخبرنا أنه كان هدية من أمها. وكان لها ابن من خفرع يدعى "دوا نى رع" والذي خدم كوزير في عهد الملك منكاورع ابن خفرع من ملكة أخرى. وقد حمل دوا ني رع لقب "أكبر أبناء خفرع"، إلا أنه لم يخلفه في الحكم. وهذا الأمر يقودنا إلى تصديق فكرة أنه ليس بالضرورة أن يتم توريث العرش للابن الأكبر.

أما المستشار الأول للملك خفرع، فيبدو أنه كان "عنخ حاف" والذي أدَّى نفس الدور في حياة والده، وقد حمل هذا الرجل ألقاب الوزير والمشرف على جميع أعمال الملك. وأعتقد أن هذا الرجل كان كهلاً في عصر الملك خفرع، حيث يظهر حفيده "عنخ إت إف" بمقبرته. وقد تزوج من ابنة الملك الكبرى (ربما ابنة الملك خوفو).

ويمكن أن نتخيل كيف كان عنخ حاف هو أكثر الأشخاص أهمية بالبلاد بعد الملك. فقد كان يدير الشئون السياسية بالبلاد، كما كان المسئول عن تصميم المجموعة الهرمية. ورغم أنه لم يكن يشرف على العمل اليومي

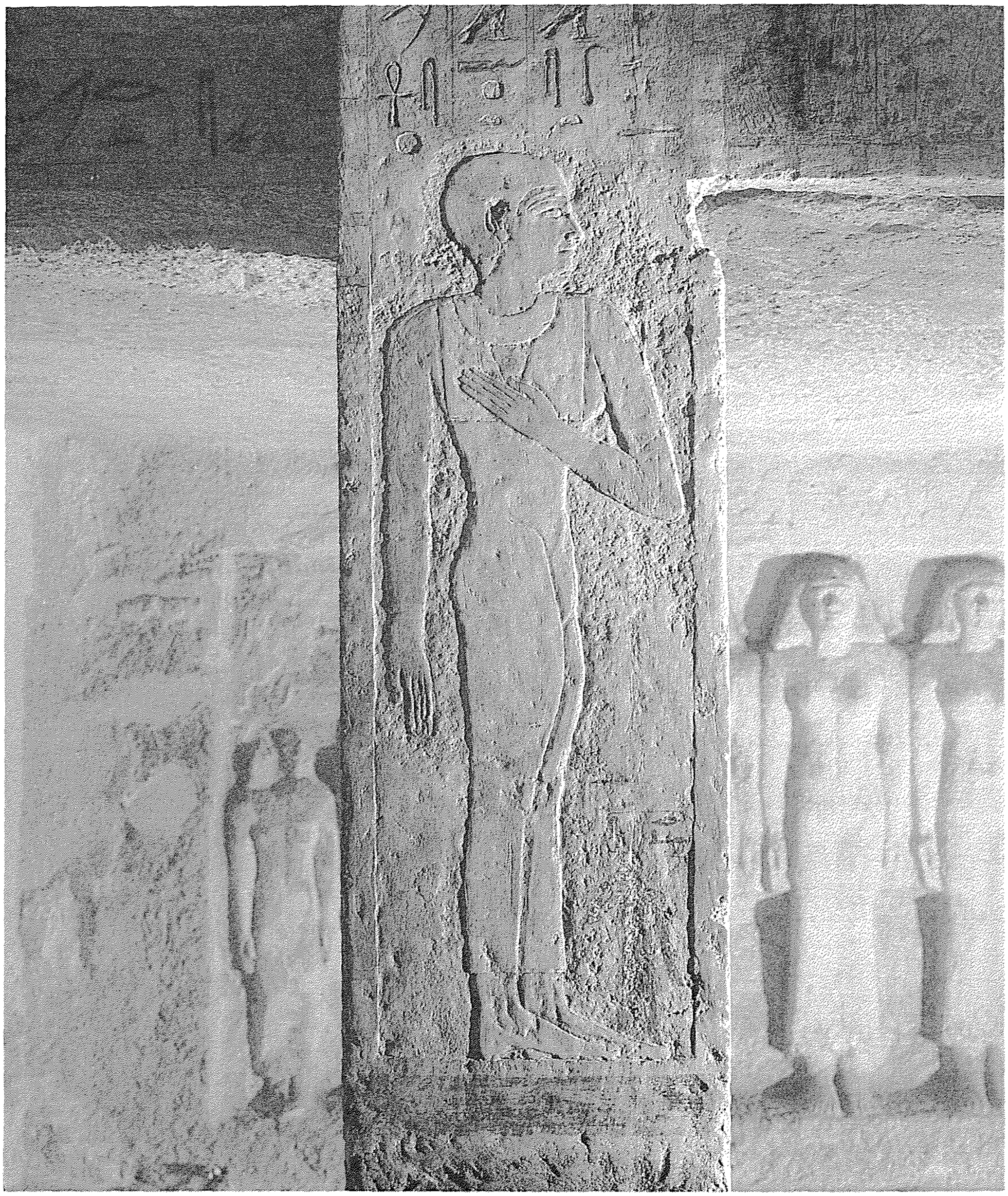

بالمجموعة الهرمية مباشرة، إلا أنه قد اختار التصميم العام وحدد النهج ليسير عليه المشرفون بعد ذلك.

وهناك وزير آخر لخفرع هو "مين خع إف" والذي كان أيضًا ابنًا للملك، ويعتقد بعض العلماء أنه كان ابن خوفو من حنوت سن، تلك الملكة التي دفنت بالهرم الواقع بأقصى الجنوب شرقي الهرم الأكبر. ويعتقد أن مين خع

■ الملكة مرسي عنخ الثالثة بمقبرتها– الأسرة الرابعة– هضبة الجيزة.

إف هو المهندس المعماري الذي نفذ أفكار عنخ حاف في بناء الهرم ونجح في تحويلها إلى حقيقة، وأشرف على بناء الهرم. وهناك رجل آخر أدَّى دورًا هامًّا في تخطيط وبناء هرم خفرع وهو الوزير "نفر ماعت الثاني" الوزير الثالث في عهد خفرع والذي دفن في المقبرة G7060 بالجانب الشرقي من الهرم. وكانت أم هذا الوزير هي "نفرت كاو" والتي يعتقد أن تكون ابنة الملك سنفرو من زوجة ثانوية، وابنتها "نفرت كاو الثانية" قد تزوجت من "خاف خوفو الأول" (ربما أصبح خفرع بعد ذلك).

وفي فترة متأخرة من عصره، تزوج خفرع من ملكة أخرى تدعى "خد حخنو" والتي أنجبت له ولدًا يدعى "سخم كارع". وقد عاش هذا الطفل إبان عصر الأسرة الخامسة وخدم كوزير في عهد الملك أوسركاف (2513–2506 ق.م) قبل وفاته في عهد الملك ساحورع. والسبب في اعتقاد العلماء أنه كان ابن الملك خفرع هو موقع مقبرته شرقي هرم خفرع.

وهناك العديد من المقابر الشائقة بالجيزة والتي ترجع لعهد الملك خفرع. فمنها مقبرة امرأة تسمى بـ"مريت إيت اس" الثالثة والتي كانت الكاهنة الخاصة بطقوس خوفو والإلهتين حتحور ونيت، حيث كانت ابنة الملك خوفو وزوجة رجل يدعى "آخت حتب" والذي حمل لقب كاهن خوفو أيضاً، والعثور على هذا اللقب يدل على دور هام لهذا الكاهن، أو تلك الكاهنة خلال الطقوس الملكية بالأسرة الرابعة. وقد حمل هذا اللقب أيضاً الكاهنة "نيس جر كاي" والتي دفنت أيضاً بالجيزة.

وقد تم الكشف حديثًا عن مجموعة من المقابر بالجبانة الغربية للملك خوفو والتي ترجع زمنيًّا لعصر الملك خفرع. وعلى الرغم من كون أصحابها ليسوا من العائلة الملكية إلا أن لها أهمية تاريخية هامة. ومن بين تلك المقابر مقبرة القزم "برني عنخو" التي قمت بكشفها والذي حصل على لقب "قزم القصر الذي يسعد جلالته كل يوم". وكان للأقزام في مصر القديمة دور هام وخاصة

■ تمثال للقزم برنى عنخو– بازلت– المتحف المصري.

بالقصور الملكية، حيث عُرِفُوا برقصاتهم المتميزة مثل التي كان يقدمها برني عنخو كرقصات طقسية لإمتاع الملك. وبعد فتح حجرة التمثال المغلقة الملحقة بمقبرته اكتشفنا تمثالاً بديعًا له، وأعتقد أن برني عنخو كان والد القزم الشهير سنب الذي يوجد تمثاله بالمتحف المصري ومقبرته تقع إلى جوار المقبرة المكتشفة مباشرة، ونحن نعرف أن سنب قد حصل على لقب معلم أطفال الملك.

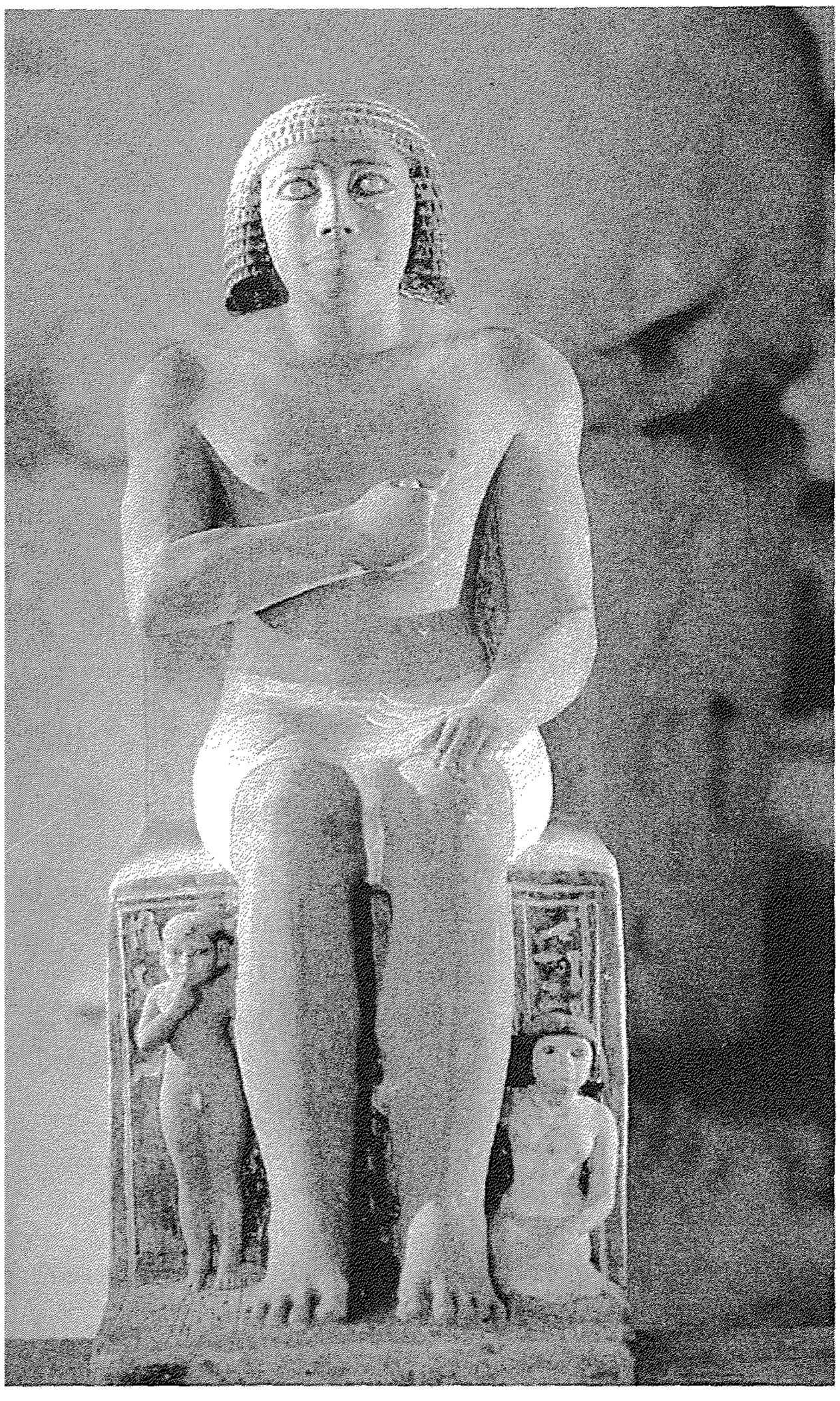

ومن بين المقابر الجميلة التي ترجع للأسرة الرابعة، مقبرة أحد الكهنة يدعى "كاي" تلك المقبرة المنقوشة والمزينة بالعديد من المناظر والألوان بديعة. ونكتشف من خلال مناظر تلك المقبرة أسلوب المقايضة الذي كان سائداً في مصر القديمة، حيث نقش بمدخلها نص رائع يقول فيه الكاهن: "لقد دفعت لكل من بَنَّائيِّ المقبرة والرسامين والنحاتين مقابل عملهم بعضًا من الخبز والجعة وتأكدت من رضاهم..".

ومن خلال قدر من المعلومات حصلنا عليه من مجموعته الهرمية ومقابر رجال دولته، يمكن معرفة القليل عن عصر خفرع. فقد علمنا أنه قام بإرسال عدد من البعثات إلى النوبة لإحضار الديوريت والجرانيت من أجل تشييد معبده وتماثيله، ويحمل محجر الديوريت اسم خفرع الآن، كما عثر على اسمه مع كل من خوفو ومنكاورع في بيبلوس، مما يشير إلى إرسال بعثات لإحضار خشب الأرز، ويشير كذلك إلى أن هؤلاء الملوك قد أقاموا علاقات تجارية بمدن الساحل السوري. كما يوجد اسم الملك خفرع بموقع "إبلا" بسوريا، والذي يشير إلى وجود علاقات مع دول شرقي حوض البحر المتوسط.

■ تمثال الكاهن كاي– حجر جيري ملون– المتحف المصري.

الفصل الخامس

وفاة خفرع

ألقى الملك خوفو العجوز بظلاله كثيراً على الحياة ولم يمت بعد.. وكان هناك أميران رئيسيان مازالا على قيد الحياة ينتظران دورهما على العرش.. ولم يكن هناك ادعاء للوصول إلى عرش الأرضين أعظم من دم ينسب إلى الملك خوفو.. ولم يكن منكاورع الخليفة الشاب لخفرع يافعاً بالقدر الكافي كي يجلس على العرش؛ لذا فكان أخوه جدف حور الذي أوصل خفرع ليرقد بهرمه المضيء وتقديم الطقوس التي ترسل الكا للالتحاق بالآلهة الأخرى....

وضعت معظم تواريخ الدولة القديمة الملك منكاورع بعد الملك خفرع مباشرة. ومع ذلك، فإن هناك بعض الأدلة على وجود سلسلة من الملوك الذين حكموا لمدة قصيرة بين بناة الهرمين الثاني والثالث بالجيزة. وقد ذكر المؤرخ مانيتون ملكًا يدعى "بخريس" وقال أنه قد حكم لمدة 4 سنوات فقط. أما نقش الجرافيتي بوادي الحمامات والذي يرجع للدولة الوسطى – والذي ذكرته من قبل– والذي نقش على يد موظفي منف، فقد ذكر ملوك الأسرة الرابعة بهذا الترتيب (كل اسم داخل خرطوش): خوفو، جدف رع، خفرع، جدف حور (رع)، باو إف رع. ومن الواضح أنه غير صحيح، فهناك خطأ قد حدث على يد كهنة كاذبين في فترة سادت بها السذاجة، وما زاد من تصديقها هو وضعها بقوائم ملوك رسمية لاحقة. ومع ذلك، وبالرغم من ذلك فإن هذا النص يعد قائمة بمستلمي القرابين أكثر من كونها قائمة بتاريخ الملوك، إلا أنه يعد الأقرب في الفترة الزمنية للأحداث الفعلية للدولة القديمة، وربما يكون على درجة من الدقة.

أما عن الملك "بخريس" الذي ذكره مانيتون بقائمته فيمكن تحديده بأنه الملك باو إف رع بقائمة وادي الحمامات. وقد ورد اسم هذا الشخص أيضاً ببردية وستكار كأحد أبناء الملك خوفو. وأعتقد أنه هو نفسه باو إف حور والذي يعتقد أنه ابن خوفو والذي دفن بمصطبة من أكبر مصاطب الجيزة. وقد حصل باو إف حور على درجة وزير وتزوج من الأميرة مرسي عنخ الثانية ابنة الملك خوفو والتي دفنت هي الأخرى بنفس المصطبة. ونعرف من خلال ألقابها أنها كانت زوجة ملك ويحتمل أن يكون خفرع. ومع ذلك، فإذا كانت نظرية كَوْنِ باو إف حور

أصبح باو إف رع وحكم لفترة قصيرة بصفته ملكًا، فإن مرسي عنخ ربما قد حصلت على لقبها من ذلك الرجل الذي نعرف أنه كان زوجها. وإذا كان باو إف رع قد حكم يوماً ما، فإن فترة حكمه ستكون قصيرة جدًّا وهو ما يجعلنا لا نعرف شيئاً عنه.

أما جدف حور، فكان كما ذكرنا أنه مثل ددف حور/ حور ددف الذي ذكر ببردية وستكار أو كما تعرف أيضاً باسم خوفو والسحرة بصفته ابن خوفو، الأمير الذي رافق الساحر جدى إلى القصر. وقد ذكر هذا الرجل على يد مصريِّ العصر المتأخر كمؤلف مجموعة من التعاليم والحكم حول كيفية المعيشة بشكل قويم. وقد دفن هذا الرجل بالجيزة بالمقبرة رقم G7320 شرقي الهرم الأكبر.

وليس لدينا أية آثار لحورددف و باو إف رع، والتي يمكن أن تدل على كونهما ملكين. وكان أحدهما قد شرع في بناء مجموعة هرمية بمنطقة زاوية العريان والتي تضم هرمًا مجهول النسب. وإذا كان أحدهما أو كلاهما قد حكم لمدة ما، فقد تركا القليل من الآثار الملكية وهو ما جعلهما يذكران بصفحات التاريخ الخلفية. أما الملك التالي لهما، فهو الملك منكاورع الذي ترك بصمته عندما بنى أصغر، وأجمل أهرام الجيزة.

الفصل السادس

الملك منكاورع يصعد إلى العرش...

لم تكن وفاة الملك خفرع بالمفاجأة، فقد كان طاعناً في السن ويعاني من بعض الأمراض، ولكن بالرغم من قصر مدة حكمه إلا أنها اتسمت بالحكمة، فقد جعل مصر كلها متهيئة لتقبل الملك الجديد الذي اختاره من بعده. ومن بين العديد من أحفاد خوفو، وقع الاختيار على الأمير منكاورع، ابن الملك خفرع والذي كان شاباً قوياً ونشيطاً يتسم بالحكمة رغم صغر سنه. فيبدو وكأن الآلهة قد منحته العظمة.. ووضعت بداخله نبوغ الدبلوماسية، وهو ما كان مطلوباً لتسوية الصراعات الناشبة داخل العائلة الملكية.. وقد تربى وتعلم على يد كهنة هليوبوليس مما جعل بينه وبينهم سلاماً.

وبعد وفاة أبيه خفرع، اعتلى الملك منكاورع عرش مصر. وبالإضافة إلى اسمه الموجود بالخرطوش الملكي، حمل منكاورع لقبه النبتي وهو "خاخت" أي (جسده هو ثور)، ولقب حورس الذهبي وهو "حور نوب نتر" أي (المعبود حورس الذهبي). أما اسمه باليونانية فقد تحرف إلى منكيريس كما ذكر (مانيتون) أو ميكيرينوس كما ذكر (هيرودوت).

ونعرف أن الملك منكاورع هو ابن خفرع من إحدى الملكات والتي نعتقد أن تكون الملكة "خع مررنبتي" الأولى، أما أخته فهي الملكة خع مررنبتي الثانية. وإذا تأكد من كون الملكة خع مررنبتي الأولى هي أمه فإن الملكة خع مررنبتي الثانية ستكون أخته من دم ملكي مما يجعل السلطة والنفوذ متركزيْن بيد فرع واحد من العائلة الملكية.

ويخبرنا المؤرخ مانيتون أن الملك منكاورع قد حكم مصر لمدة 63 عامًا في حين تشير بردية تورين إلى توليه العرش لمدة 18 عامًا وهو ما يميل للدقة. وتشير كتابات هيرودوت إلى الملك منكاورع لكونه ملكًا طيبًا وخيّرًا وتحدثت عنه بشكل مادح، فقد ذكر أنه قد أعاد فتح المعابد التي أغلقت في عهد جده وأبيه كما سمح للعامة في

مواصلة تقديم قرابينهم للآلهة، ووصلت ذكراه الطيبة في الروايات القديمة أنه إذا حكم على أحد الموظفين بحكم لا يرضيه كان يدفع له من ماله الخاص كي يجعله سعيدًا، وهناك أسطورة ارتبطت به بأن الآلهة قد قرروا بأن تعيش مصر في محنة في الوقت الذي قدر له أن يعيش لمدة ست سنوات فقط، لذلك فقد كان يضاعف وقته المقدر له على الأرض بأن يظل طوال الليل متيقظًا. وقد كانت تلك القصة الشائقة لهذا الملك الطيب مصدر خيال الكاتب "ماثيو أرنولد Matthew Arnold" ليكتب قصيدة بعنوان "ميكيرينوس" في عام 1849م.

هرم منكاورع

اختار منكاورع الحد الجنوبي لهضبة الجيزة كموقع لهرمه والذي أسماه "منكاورع الإله"، ولسبب ما صمم هرمه بحجم أصغر من هرمي أبيه وجده، فقد كان عُشر حجم الهرم الأكبر، وقد اعتقد بعض العلماء بأن السبب في صغر حجم الهرم يرجع لأسباب اقتصادية، ولكن الطبقات الـ16 السفلي قد كسيت بالجرانيت وهو حجر باهظ الثمن. وكان من المحتمل أن التخطيط الأصلي للبناء يتضمن كساء الهرم كله بالجرانيت، ومع ذلك فيبدو أن المجموعة لم تكن قد انتهت عندما مات الملك. وقد قام ابنه وخليفته الملك شبسسكاف بإكمالها، حيث قام بتكسية بقية الهرم بالحجر الجيري (في حين أكمل المعابد بالطوب اللبن).

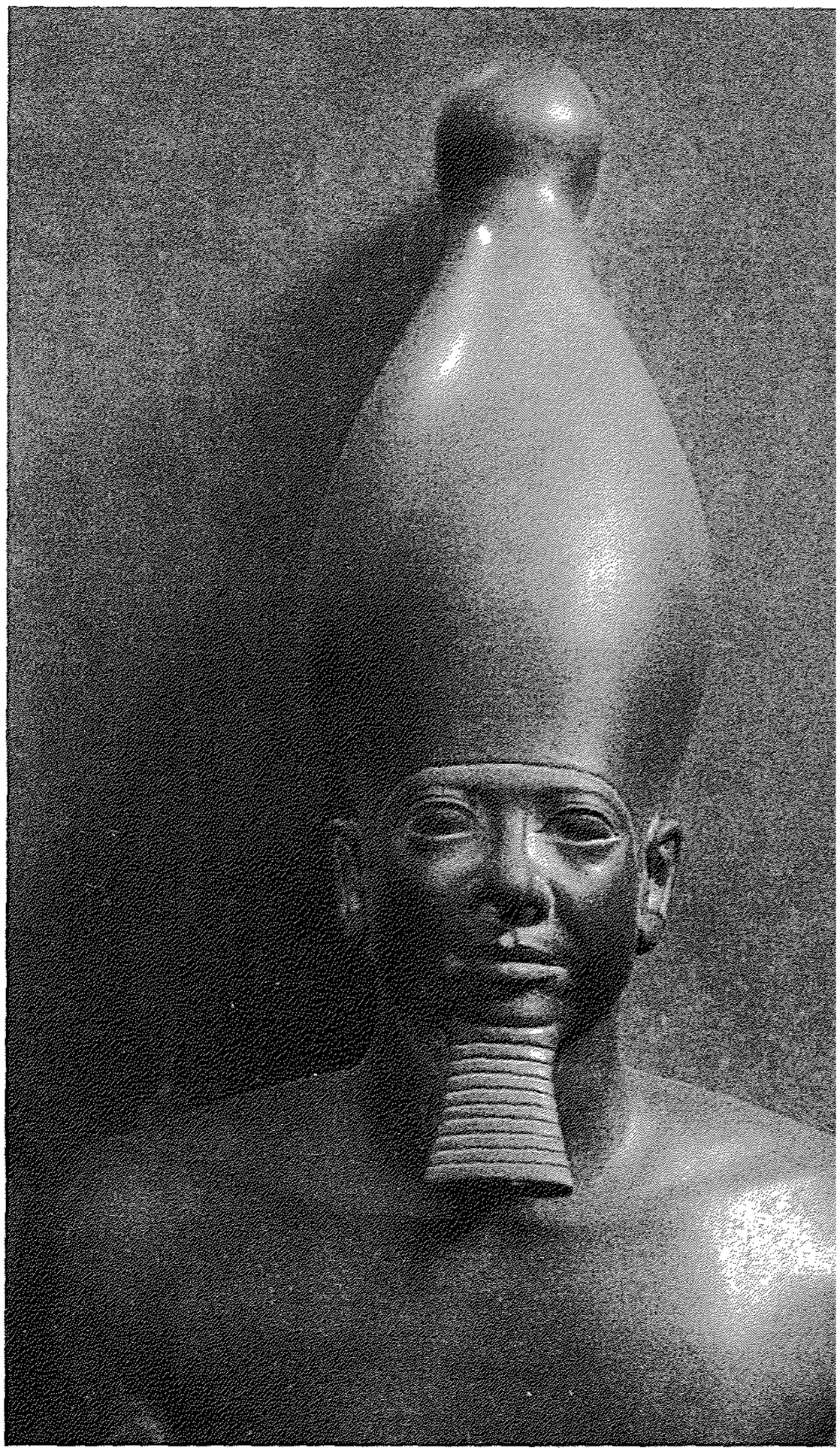

ولا نعرف السبب في اختيار منكاورع للجرانيت من أجل تكسية هرمه، حيث إن الجرانيت لم يستغل من قبل في تكسية أي هرم غير أن مهندس أبيه قد كسى المدماكيْن السفليّن بالهرم الثاني. ويبدو أنه من الصعب التعامل مع الحجر الجيري، والذي يمكن أن يبطئ العمل بطريقة شنيعة. ومع ذلك، فإنه من الواضح أن المهندس المسئول عن هذا المشروع كان بارعاً، كما يظهر أن التخطيط العام للهرم والمجموعة قد تمت بأسلوب جيد.

■ الملك منكاورع– المجموعة الثلاثية– المتحف المصري.

وعلى مدخل الهرم قد نقش على شريط من الكساء الجرانيتي أن الملك منكاورع قد مات في اليوم 23 من الشهر الرابع من فصل الصيف، وهذا النص لا يرجع لعهد الدولة القديمة، بل إنه قد أضيف إبان الدولة الحديثة أو عصر الملك رمسيس الثاني، حيث كان ابنه الأمير "خع إم واست" مولعاً بآثار أجداده كما أنه عمل ككاهن .بمنف، وقام بترميم العديد من آثار الدولة القديمة بتلك المنطقة. ولكن الرأي الأرجح أن هذا النص قد كتب في الأسرة 26 وهي فترة إحياء عقيدة ملوك الأسرة الرابعة بالجيزة.

ويقع مدخل الهرم عند الجهة الشمالية منه ويؤدي بدوره إلى ممر هابط مكسو معظمه بالجرانيت ويصل إلى حجرة جانبية مستطيلة تحت سطح الأرض ذات نيشات منحوتة في جدرانها، ويخرج من تلك الحجرة ممر أفقي كان مسدودًا بباب جرانيتي يؤدي إلى حجرة الدفن المستطيلة أسفل منتصف الهرم. وهناك مجموعة أخرى من الممرات تؤدي إلى مدخل مغلق ربما تعد دليلاً على أن تخطيط الهرم كان معدًّا ليكون أصغر. وهناك مجموعة أخرى من الحجرات يمكن الوصول إليها عن طريق منحدر عند مستوى حجرة الدفن الأولى ويصعد إليها عن طريق مجموعة من الدرجات والتي أضيفت للتخطيط العلوي للهرم. ويعتقد البعض بأن أولى تلك الحجرات كانت تضم ستة نيشات عميقة منقورة بالجدران، أربعة بالجدار الشرقي واثنين بالجدار الشمالي. ويعتقد الباحثون أنها كانت مخصصة لوضع الأواني الكانوبية الخاصة بالملك، والتي كانت تضم أحشاءه بعد تحنيطه أو لوضع تيجانه الملكية أو للأدوات التي استخدمت في المراسم الجنائزية. وفي اعتقادي أن تلك النيشات موازية للأقبية الموجودة تحت الأرض والتي خصصت لتخزين الطعام والشراب والتي كانت موجودة بمنازل الأحياء والتي كانوا يخزنون بها القرابين من طعام وشراب للحياة الأخرى. أما الحجرة الثانية بهذا المستوى فكانت مكسوة بالجرانيت والتي يمكن أن تعد حجرة الدفن الفعلية.

وبحجرة الدفن الأصلية، عثر فيز أول مكتشف معاصر لهذا الهرم، على غطاء تابوت خشبي عليه نقش لـ"أوزير منكاورع" وهذا النقش يرجع للعصر المتأخر. وبالقرب من هذا الغطاء عثر على قطع من الكتان وبقايا عظام آدمية، والتي تم تأريخها عن طريق المسح بالكربون المشع إلى العصور المسيحية. ويبدو أن هناك نوعًا من الدفن الرمزي قد حدث في الوقت الذي تم تنفيذ هذا النقش بالقرب من المدخل.

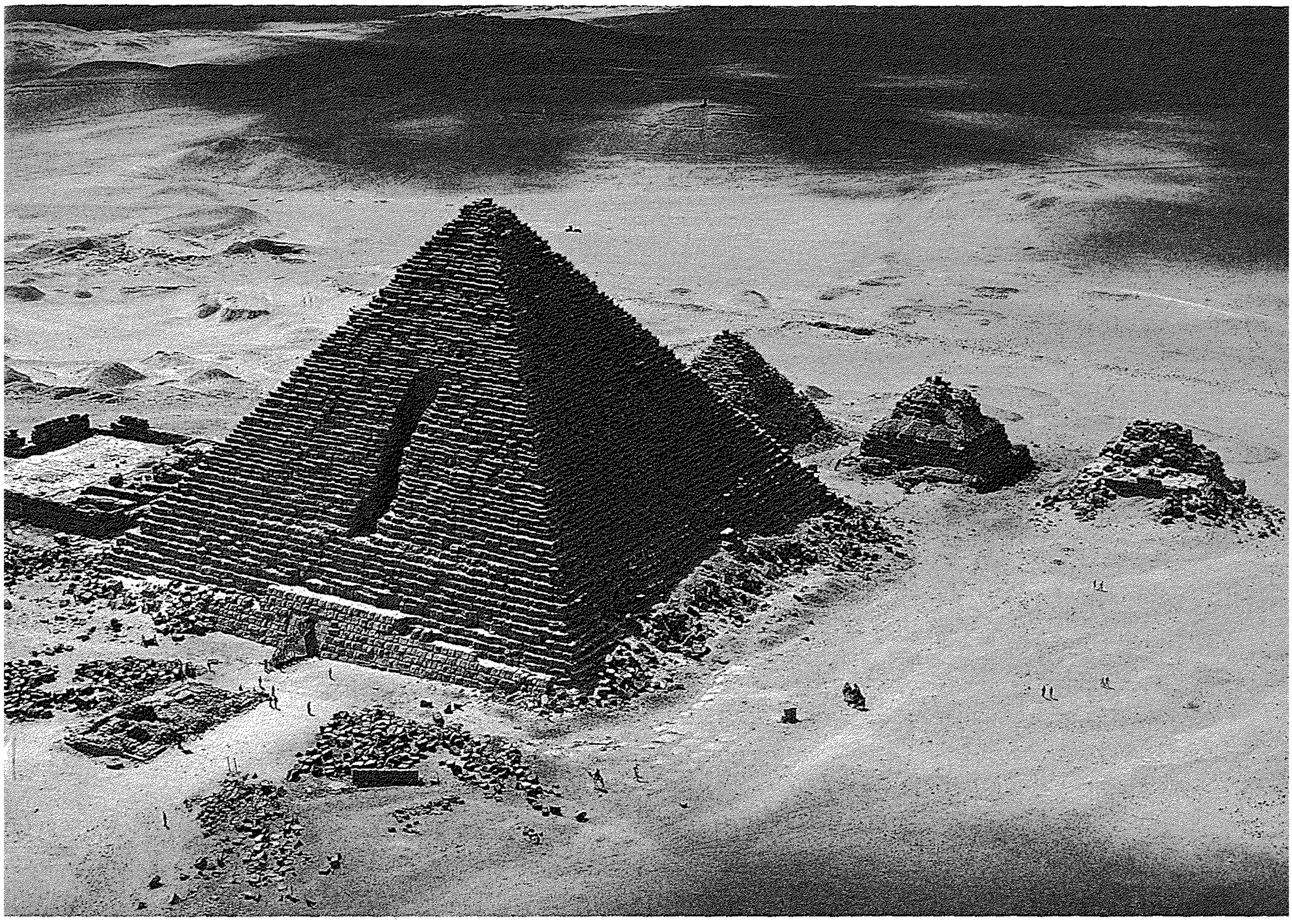

وفي مواجهة الجدار الغربي لحجرة الدفن الثانية المكسوة بالجرانيت، عثر فيز على تابوت فارغ من البازلت مزخرف من الخارج على شكل كوات. وبصعوبة بالغة، نجح فيز في إخراج التابوت من الهرم وشحنه إلى الإسكندرية ووضعه على سطح سفينة تدعى "بياتريس" استعدادًا لنقله إلى انجلترا، إلا أن السفينة قد تعرضت لعاصفة عنيفة مما أدى إلى غرقها عند سواحل أسبانيا في عام 1838م، مما أدى إلى غرق التابوت معها واستقراره في قاع البحر. وسيكون حدثاً رائعاً إذا قام أحد الأثريين المتخصصين في الآثار الغارقة والعاملين غربي حوض البحر المتوسط بمحاولة العثور على هذا الكنز الغارق.

وتعطينا المجموعة الجنائزية للملك منكاورع – والتي أكملها شبسسكاف– قدرًا كبيرًا من المعلومات حول الطقوس الجنائزية الملكية بشكل عام والطقوس الخاصة بمنكاورع بشكل خاص. وكانت مجموعة الكهنة الخاصة به على درجة من النشاط خلال الدولة القديمة لمدة تصل إلى 300 عام تقريبًا. وقد كشف عن تلك المجموعة الجنائزية

■ منظر عام لهرم الملك منكاورع– هضبة الجيزة.

منذ بداية منتصف القرن العشرين واحد من أبرع الرواد في مجال الآثار وهو الأمريكي جورج رايزنر والذي اكتشف ضمن معابد منكاورع مجموعة كبيرة من التماثيل والتي تدخل ضمن مصاف أفضل تماثيل الدولة القديمة.

وتبدأ المجموعة – مثل بقية المجموعات الهرمية – بمعبد الوادي والذي يقع بأقصى الغرب أبعد من معبدي خوفو وخفرع. وكان التخطيط الأصلي للمعبد يتكون من فناء أوسط مفتوح له صالة محاطة بمجموعة من الحجرات الصغيرة ناحية الشرق ومخازن وحجرات الطقوس ناحية الغرب.

وقد تم الكشف بجوار وداخل معبد الوادي عن بقايا القرية التي كانت تضم مساكن الكهنة الذين أقاموا الشعائر الجنائزية لمنكاورع، حيث كشف رايزنر في جزء من القرية عن 11 منزلاً مبنيًّا من الطوب اللبن ومخازن للقمح دائرية الشكل، في حين أن مبانيَ أخرى لم يتم الكشف عنها. وقد عثر على قطع داخل منازل الكهنة من بينها قطع فخارية تمتد من الأسرة الرابعة حتى الأسرة السادسة، وقد اعتقد رايزنر أن المنازل المبكرة قد بنيت داخل فناء معبد الوادي، ومن ثم فقد توسعت المدينة عن تلك المنطقة. ومع ذلك، فإنه من المحتمل أن تكون منازل الكهنة قد بنيت في الأصل خارج المعبد، وتم توسيعها فقط إبان الأسرة الخامسة عبر الجدار الشرقي نحو فناء المعبد.

ومن الواضح من خلال الأدلة الأثرية أنه كان هناك طقوس ... قد تمت بمعبد الوادي بأواخر الدولة القديمة والتي تركزت بحجرة مظلمة مهملة خلف القرية المكدسة بالطوب اللبن. ومن المحتمل أنه بنهاية الأسرة الخامسة حدث سيل عارم غمر الوادي المجاور وتسبب في تدمير الجزء الغربي من المعبد. وقد بني معبد جديد فوق أطلال المعبد القديم، ربما مع بداية الأسرة السادسة، حيث عثر على مرسوم بدهليز المعبد من عصر الملك بيبي الثاني، حيث أقر الملك بإعفاء كهنة المعبد من دفع الضرائب طيلة الوقت الذي يخدمون فيه عقيدة الملك. ويبدو أن عبادة منكاورع قد استمرت حتى نهاية الدولة القديمة.

وبأحد الممرات خلف المعبد اكتشف رايزنر واحدًا من أبدع وأجمل تماثيل الفن المصري في تلك الفترة، حيث عثر على تمثال "مزدوج" غير كامل منحوت من البازلت يمثل الملك بصحبة إحدى الملكات ربما كانت الزوجة الرئيسية، وللأسف لم ينحت الفنان عليه اسم الملك أو الزوجة على قاعدته. ويمثل التمثال الزوجيْن الملكيَيْن في حجم ثلاثة أرباع الحجم الطبيعي حيث تكشف عن أهميتهما، وقد نقر خلف التمثال المزدوج مسند ظهر مرتفع،

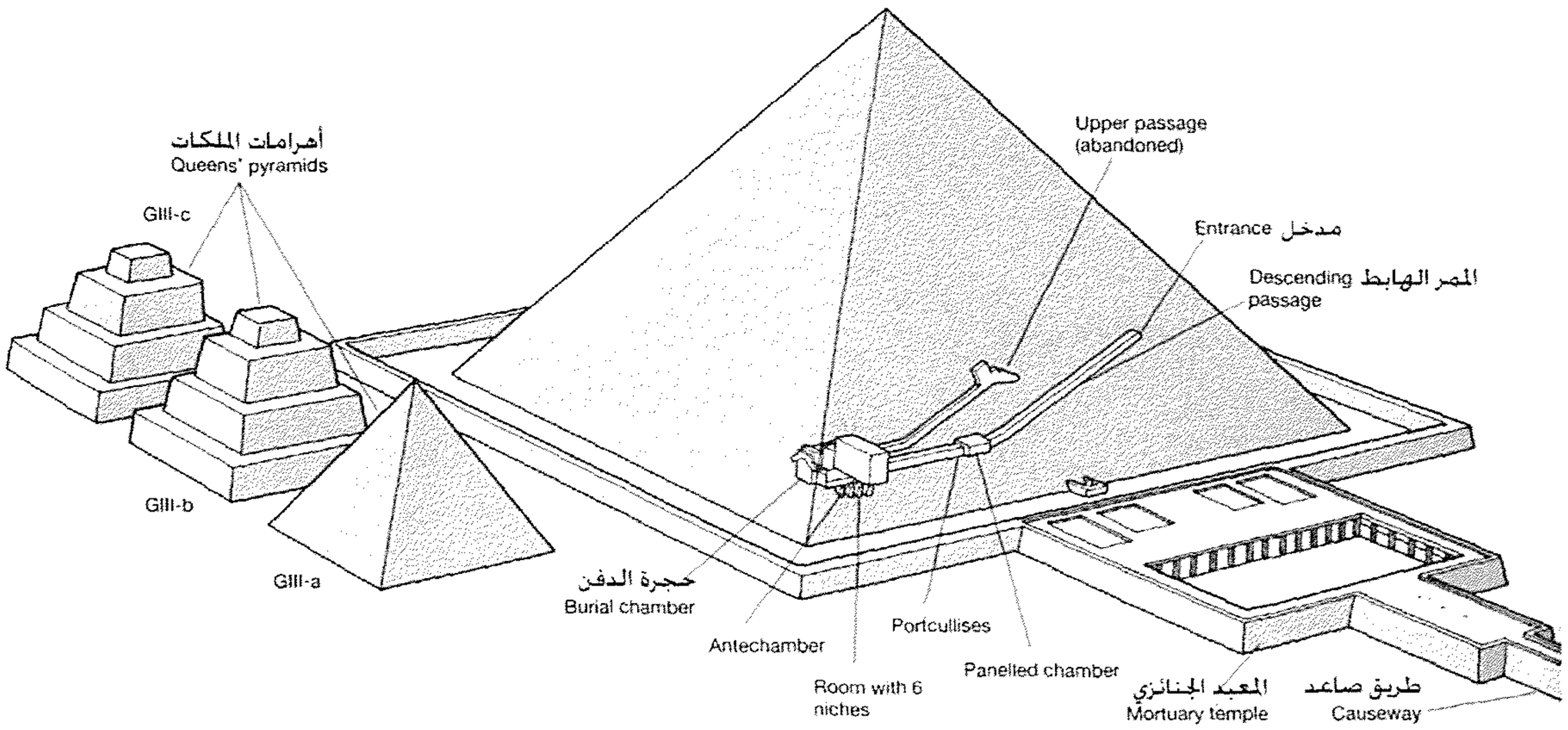

ويندمج الزوجان معًا من خلال حركة الزوجة وهي تلف ذراعها حول خصر زوجها بينما تلف الآخر حول ذراعه. ويظهر كل من الزوجين وهما يقدمان الساق اليسرى خطوة للأمام.

وهذا التمثال يلقي الضوء على البلاط الملكي وعقيدة منكاورع، حيث يوضح لنا كيف كانت الملكة مساوية في الأهمية مع الملك، وكانت خطوة الملكة للأمام – وهو وضع رجولي في الفن المصري القديم– يؤكد فكرة المساواة. وتخرج مشاعر الحب بين الزوجين واضحة من حجر التمثال الصلب لتكشف لنا عن لمحة عن إنسانية هذا الملك.

وبالإضافة إلى هذا التمثال الرائع، عثر للملك على مجموعة من التماثيل الجماعية بمعبد الوادي. والعنصر الرئيسي بتلك المجموعات هي خمسة تماثيل ثلاثية مصنوعة من حجر الجرايويك (أحدهما أصبح بقايا) تمثل منكاورع بصحبة اثنين من المعبودات، حيث عثر على أربعة منها تمثل الملك مرتديًا التاج الأبيض للوجه القبلي يقف... في الوسط مقدمًا ساقه بين كل من الإلهة حتحور (مقدمة ساقها بنفس الدرجة) وبين إلهة تمثل إحدى الأقاليم المصرية. وكان كل من تلك المجموعات منحوتة على مستوى عال من الدقة بطريقة منظورة من كل الجهات وخلفها مسند ظهر مرتفع.

■ مخطط ثلاثي الأبعاد لهرم الملك منكاورع والمعبد الجنائزي وأهرامات الملكات.

وهناك تمثال جماعي خامس مختلف في الشكل، حيث يمثل الربة حتحور جالسة على عرش، ويقف الملك على يسارها مرتديًا النقبة وتاج مصر العليا ممسكًا بصولجان الحكم بيده اليمنى وأداة غامضة بيده اليسرى، وعلى يسار حتحور تقف إحدى ممثلات الأقاليم. وتظهر حتحور وهي تحتضن الملك بإحدى ذراعيها وتلف الذراع الآخر حول وسطه مثلما كانت الملكة تحتضنه بالتمثال المزدوج. وما يجعل هذا التمثال الجماعي فريدًا من نوعه هو حجم حتحور الأكبر من حجم الملك بالإضافة إلى وضعها جالسة، حيث تصل رأسها عند نفس مستوى رأس الملك وهو واقف.

وكانت حتحور معبودة سماوية أرضية في نفس الوقت، حيث كانت تؤدي دور الأم، حيث كان اسمها يكتب مع الصقر حورس معبود الملكية داخل مستطيل، وهو الرمز الهيروغليفي الذي يرمز للمنزل أو المقر؛ لذا فإنها من الناحية اللغوية الحرفية تعني مقر حورس، وهو إشارة على الملكية التي تمر من خلال العنصر الأنثوي بالعائلة الملكية ودورها في صورة الملكة الأم و"بيت" الملك خلال فترة حمله داخل رحمها.

وكانت تلك التماثيل الخمسة تعمل على تدعيم شعيرة الملك، حيث كانت تخدم نفس الغرض من مناظر ممثلي الأقاليم الذين يحملون القرابين والمنقوشة على جدران معبد الوادي الخاص بالملك سنفرو. وتؤكد النقوش

■ المجموعات الثلاثية للملك منكاورع وقت العثور عليها بمعبد الوادي للملك منكاورع– هضبة الجيزة.

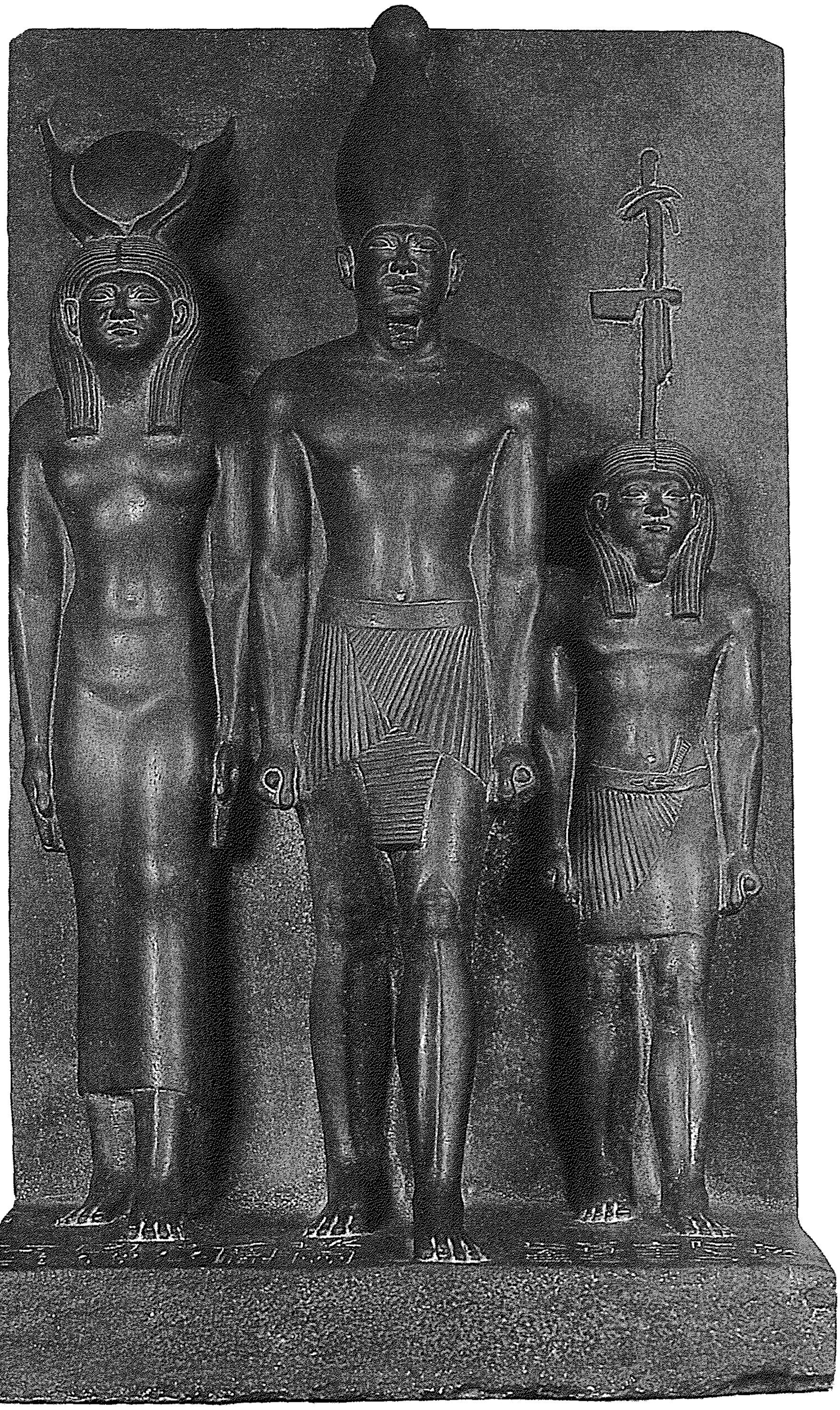

الموجودة أمام مناظر حتحور وممثلي الأقاليم نفس الفكرة، حيث تقول: "لقد منحتك جميع الخيرات والقرابين من الجنوب لكونك ملك مصر العليا والسفلى للأبد...". وكانت جميع الأقاليم المذكورة تقع بمصر العليا، حيث يظهر الملك مرتديًا التاج الأبيض. ومن المحتمل أن يعثر على مجموعات ثلاثية أخرى (ربما ثمانية أو ستة عشر) بعضها يمثل أقاليم مصر السفلى بصحبة الملك مرتدياً التاج الأحمر. ومن المحتمل أن هناك تمثالاً ثلاثيًّا بكل مركز من مراكز عبادة حتحور.

وكان وجود الإلهة حتحور يحمل أيضاً معاني الخصوبة ويؤكد على إعادة الولادة، حيث كانت تؤدي دورًا هامًّا في العقيدة الملكية، وكانت الملكة الرئيسية تجسد المعبودة حتحور كما كان الملك يمثل حورس إبان حياته ورع بمماته. وترتدي المعبودة حتحور قرص الشمس رمز أبيها رع فوق رأسها وهو ما يؤكد أهمية العقيدة الشمسية. وتعزز تلك التماثيل الثلاثية رأيي في أن معبد الوادي قد بني للملك بصفته حورس وللملكة بصفتها حتحور، التي تعد عينيْ رع وأم الملك الحي والملك التالي.

وكجزء من أهميتها الدينية، كانت تلك التماثيل جميعها تعد قطعًا فريدة من نوعها، حيث الإبداع في نحتها وصقلها وتلوينها بألوان نابضة. وقد آمن المصريون القدماء بأن تلوين التماثيل يجعلها تعود إلى الحياة بطريقة حرفية لتكون شخصيات يمكن أن تؤدي خدمات مثل تقديم القرابين والمؤن بالعالم الآخر.

وكان كل من الملك والملكة والمعبودات جميعهم قد مثلوا بطريقة غاية في المثالية وهو ما يعد الفن الملكي النموذجي للدولة القديمة، حيث كان يظهر الملك في صورة مثالية متكاملة بجسد رشيق وعضلات مفتولة وكأنه بطل رياضي، فكان الفنان يلقى اهتماماً بالغاً ببعض التفاصيل مثل عضلات السيقان، وكانت الأردية الشفافة الحابكة التي ترتديها الملكة والمعبودة تكشف أكثر مما تحجب، حتى حلمات الصدر التي نحتت بالحجر.

أما ملامح وجوه التماثيل، فلا تدخل ضمن فن رسم البورتريه الذي نعرفه حاليًا، فقد كان لكل وجه نفس الملامح، حيث يفترض أن الوجه قد مثل بملامح عامة للملك والتي نفذت لأي صورة ملكية أو إلهية. فكانت كل من الأنف السميكة الشامخة والوجنتين الممتلئتين ومقلتى العين البارزتين والابتسامة الخفيفة، من الملامح التقليدية لبقية تماثيل منكاورع وتعد نسخًا مثالية لملامحه الفعلية. أما تماثل الملامح لدى وجه الملكة فيبدو أنه بسبب كونها

■ المجموعة الثلاثية للملك منكاورع والإلهة حتحور وممثل إقليم طيبة– شست– المتحف المصري.

أخت لزوجها. وكانت ملامح كل من حتحور وممثلة الإقليم متشابهة مع ملامح الملكة؛ لأن الملكة تندمج مع تلك المعبودات، في حين أن ملامح ممثل الإقليم الذكر بإحدى المجموعات الثلاثية تظهر بملامح مختلفة.

ويخرج الطريق الصاعد لمجموعة منكاورع من معبد الوادي على خط مستقيم ليصل إلى المعبد الجنائزي الواقع بالواجهة الشرقية للهرم، وهذا الطريق لم يكتمل بعد وإن كنا نستطيع تقفي آثاره.

وقد بدأ معماريو الملك ومهندسوه في إقامة معبده الجنائزي بأحجار ضخمة مجلوبة من المحاجر الجيرية المحلية، حيث كان أكبرها يزن نحو 200 طن، وقد قسم المعبد الجنائزي إلى جزأين، الجزء الأمامى وهو المخصص للعامة ويتكون من صالة وفناء مفتوح، أما الجزء الداخلي أو الخاص فيقع بين الجدار المحيط والواجهة الشرقية للهرم. ويحتوي المعبد من الداخل على مجموعة من المخازن تمتد من الشمال للجنوب بطول قاعة طولية، وكانت المخازن الجنوبية مخصصة لحفظ الأواني المستخدمة في طقوس عقيدة منكاورع، كأواني القرابين ونماذج الأطباق والأواني الحجرية، في حين خصصت المخازن الشمالية لحفظ الأدوات التي كان يستخدمها الملك في قصره وسوف يحتاجها في العالم الآخر مثل الأواني الفخارية والسكاكين وقطع خشبية والتي يحتمل أن تكون أجزاء من طاولات وألعاب

■ منظر عام للمعبد الجنائزي للملك منكاورع– هضبة الجيزة.

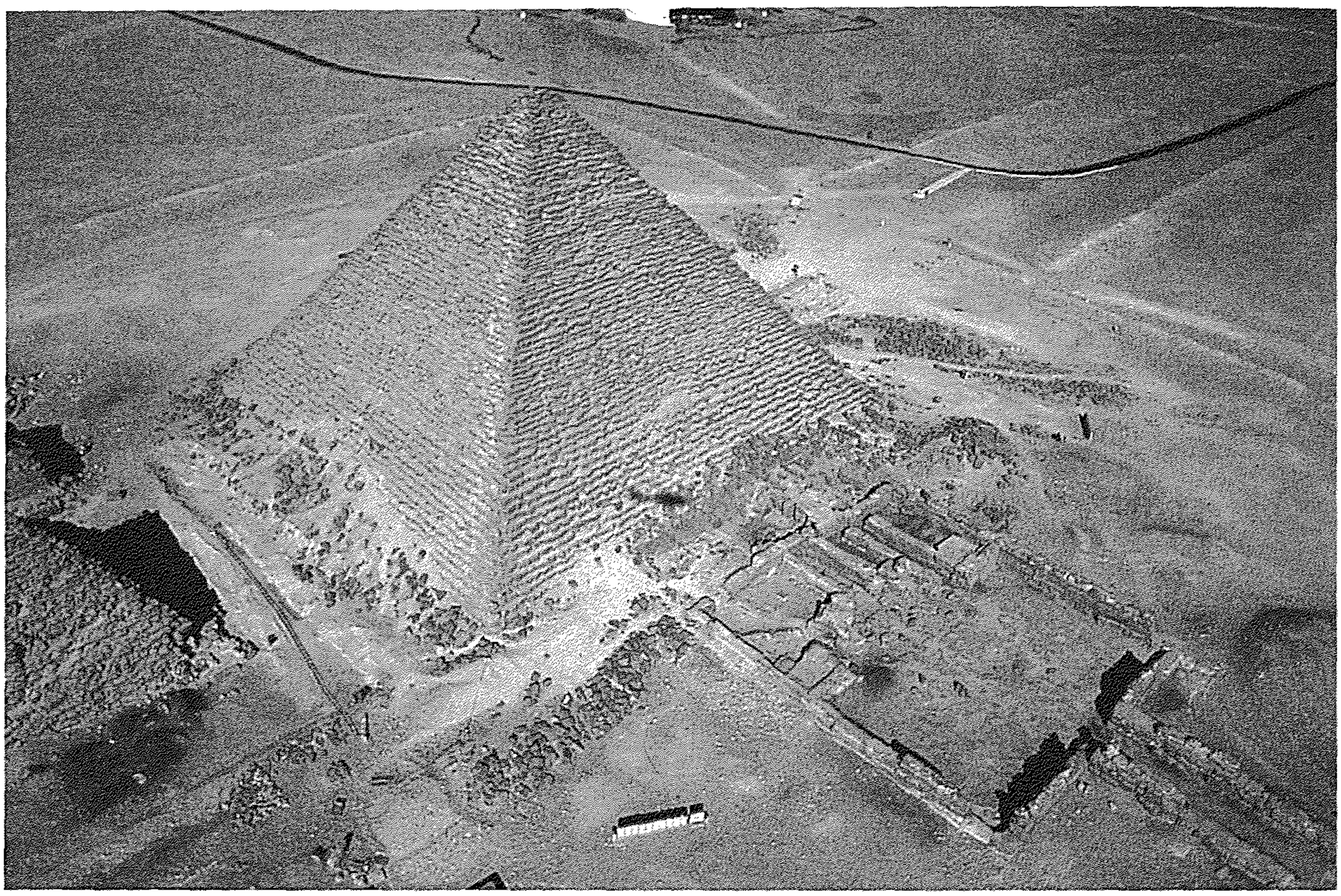

خشبية وصناديق وغيرها من الأشياء. أما بالنسبة للقاعة الطولية فكانت عبارة عن قدس أقداس المعبد مركز إقامة الشعائر، وأعتقد أنها كانت تحتوي على تمثال أو أداة خاصة بالإله رع أو تمثال للملك منكاورع.

وقد عثر رايزنر على تمثال ضخم من الألباستر للملك منكاورع، وهو الموجود حالياً بمتحف بوسطن للفنون الجميلة بالولايات المتحدة، والذي يعتقد أنه كان يوجد بمؤخرة تلك القاعة، وتصل مقاييس التمثال إلى نحو 2.35م في الارتفاع (7.7 أقدام)، ويمثل التمثال الملك مرتدياً غطاء الرأس الملكي "النمس" ونقبة ذات ثنايا واللحية المستعارة رمز الملكية، ويمسك الملك قطعة قماش في يده اليمنى. ويظهر بالتمثال شريط اللحية المستعارة ملونًا كما يظهر الشارب الرفيع الأسود فوق شفاهه العليا. أما الرأس فتبدو صغيرة بالنسبة لمقاييس بقية الجسد. وقد اقترح الأمريكي "بيتر لاكوفارا Peter Lacovera" أن المثّالين الملكيين قد أعادوا نحت الرأس لتغيير التصميم الأصلي لغطاء الرأس أو بسبب حدوث شرخ بالحجر.

وفي حال وقوف التمثال بمؤخرة الصالة الوسطى فإنه سوف يواجه محور الطريق الصاعد. وخلف هذا التمثال أي بين المعبد الجنائزي والواجهة الشرقية للهرم، توجد مقصورة داخلية لتقديم القرابين ربما احتوت على مكان لباب وهمي وهو رمز لخروج الملك ودخوله العالم الآخر، ويمثل التمثال الملك وهو يخرج من العالم الآخر ليواجه

■ منظر عام للهرم الثالث والمعبد الجنائزي للملك منكاورع– هضبة الجيزة.

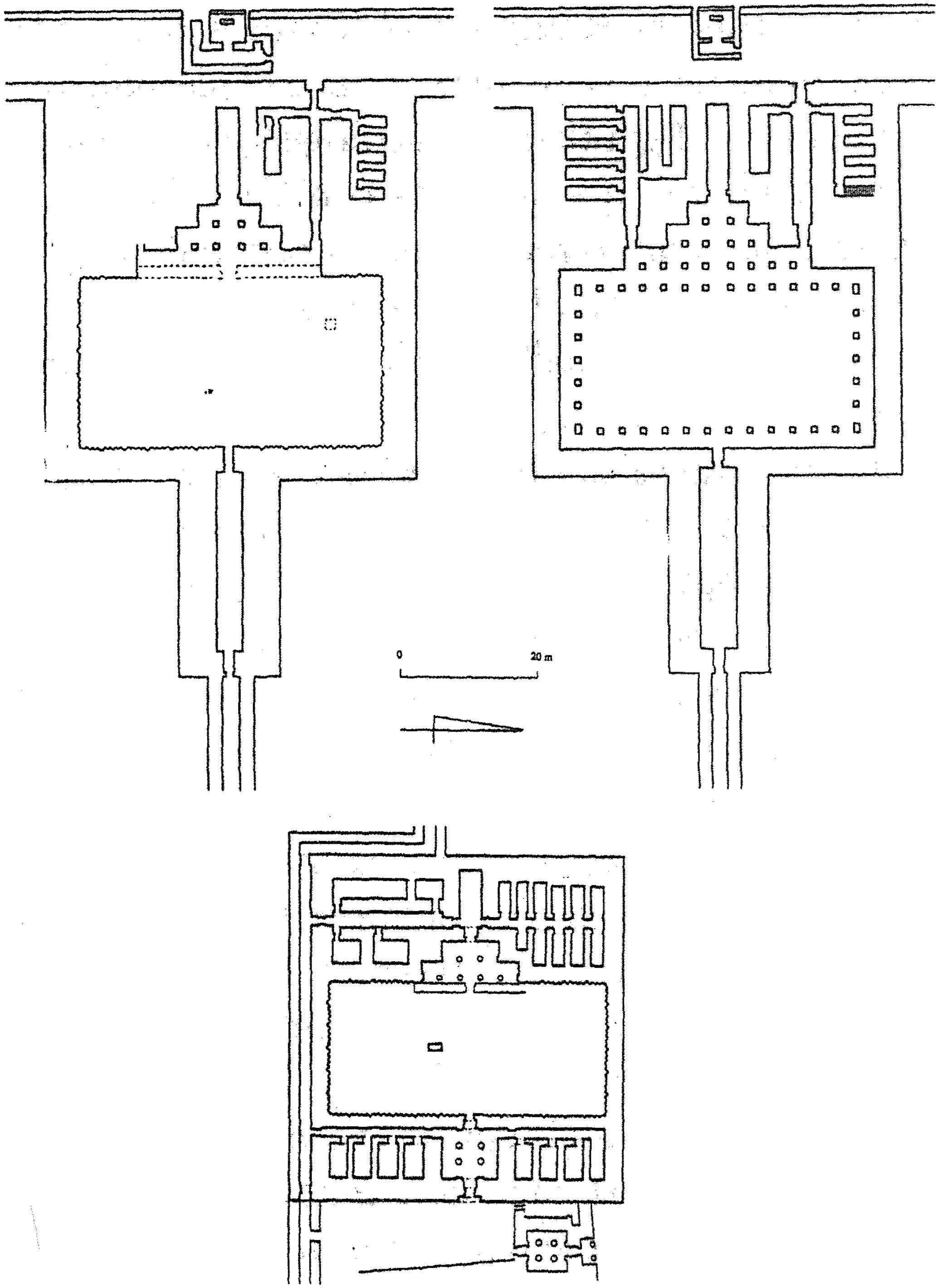

■ مخطط للمعبد الجنائزي للملك منكاورع والتغيرات التي حلّت به.

الطريق الصاعد باتجاه مدينة الهرم مع استمرار الحياة بوادي النيل.

وحتى الآن، لم يتم الكشف عن حفرات لمراكب تخص هرم الملك منكاورع. وفي عام 1970م قام الراحل الكبير عبد العزيز صالح بتنظيف المنطقة الواقعة بالقرب من الجدار الشمالي للمعبد الجنائزي في محاولة للعثور على حفرات المراكب، وقد عثر على رصيف من الطوب اللبن يغطى بطبقة من الحصى فوق طبقة أخرى من كتل من الحجر الجيري مترابطة بالملاط. وضمن بعض العلامات على تلك الكتل عثر على أربعة رسوم رائعة لمراكب، وعلى الرغم من الإزالة الجزئية لتلك الكتل إلا إنها لم تكشف عن شيء، إلا أن صالح يرى أن مراكب منكاورع تقع أسفل هذا الرصيف، على الرغم من أن كتل الرصيف لا تشبه الألواح الكبيرة المصنوعة من الحجر الجيري التي كانت تغطي حفرات مراكب خوفو الجنوبية. وكانت تلك الرسوم التي نفذها عمال المحاجر تصف المراكب التي كانوا يستخدمونها في نقل الأحجار إلى الهرم وليست مراكب منكاورع الملكية.

وقد قمت بعمليات تنظيف جنوبي هرم منكاورع من أجل البحث عن حفرات المراكب وتسجيل مواقع سقوط كتل الكساء الجرانيتية وذلك ضمن مشروع لإعادتها إلى مكانها الأصلي، وقد كشف مساعدى علاء الشحات عن كتل من الحجر الجيري والتي تشبه الكتل التي تغطي حفرات مراكب خوفو الجنوبية أثناء وجودي بالولايات المتحدة، حيث كنت أحاضر مادة خلال فصل الصيف بجامعة UCLA، واعتقد حينها أننا عثرنا على حفرات مراكب منكاورع، ولكن بعض الحفائر المقامة بالمنطقة قد أثبتت شكوكي في كون تلك الكتل هي مجرد رصيف لفناء الهرم وهي المنطقة المقدسة المحيطة بالهرم والتي لا يدخلها سوى كهنة معنين من أجل إقامة طقوس عقيدة منكاورع.

وربما ستكشف لنا بعض أعمال التنظيف القادمة بالمناطق الجنوبية والغربية للهرم –والتي مازالت تحتوي على بعض الركام الحجري وكتل الكساء الجرانيتية الساقطة – عن مواقع حفرات مراكب منكاورع. وربما من المحتمل أن يكون الملك قد توفى قبل أن تتم عملية نقر تلك الحفرات، كما أن ولده وخليفته شبسسكاف لم يأمر باستكمال نقرها.

وتضم المجموعة الجنائزية للملك منكاورع ثلاث أهرامات جانبية تسير من الشرق إلى الغرب جنوبي الجدار الداخلي للهرم الأساسي. وبالجانب الشرقي لكل هرم صغير يوجد معبد صغير مبني من الطوب اللبن. وقد استطاع رايزنر أن يقتفي أثر الجدار المحيط للأهرام الثلاثة والتي يسير على بعد أمتار خارج قواعد تلك الأهرام.

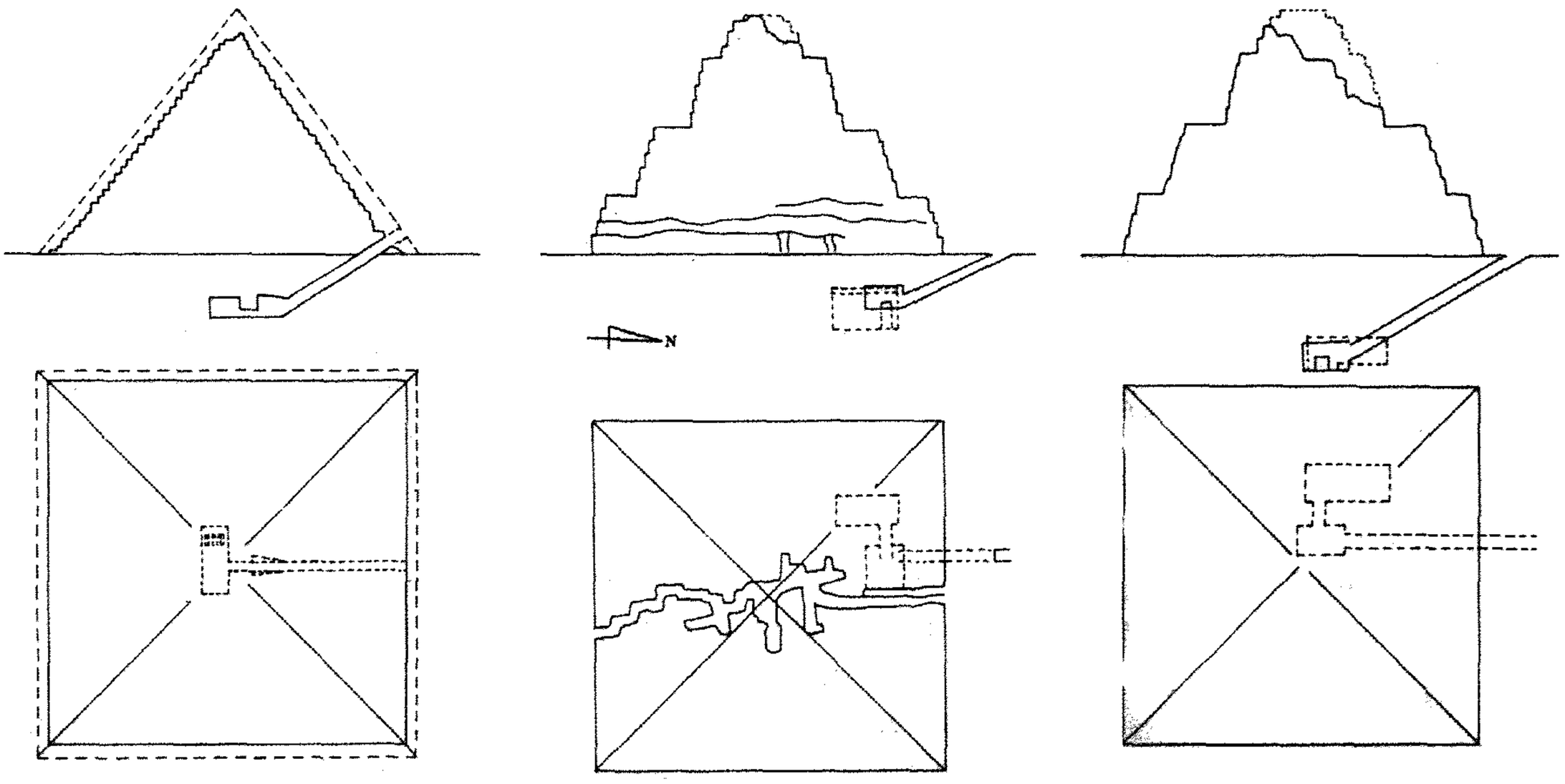

وكان الهرم الأول منهم والواقع أقصى الشرق برقم GIII-a قد اكتمل بناؤه كهرم حقيقي، وقد اعتقد الكثير من علماء المصريات بأن هذا الهرم كان يخص طقوس منكاورع أو أنه الهرم العقائدي المشابه لهرم خفرع الجنوبي أو الهريم الذي قمت باكتشافه بمجموعة خوفو. وهذا الهرم دخله لأول مرة فيز في عام 1881م، حيث قام بكتابة جرافيتي خاص به داخل الهرم ليسجل زيارته. والتصميم الواقع تحت الأرض للهرم على شكل حرف T مثل هرم خوفو العقائدي، في حين أن حجرة الدفن قد تركت غير كاملة وهو ما يدعم فكرة كونه هرمًا عقائديًّا. وقد دخلت مرتين داخل هذا الهرم. وقد وجدت أن المدخل ضيق جدًّا وينزل إلى أسفل لمسافة قد تصل إلى عشرة أمتار، وبعد ذلك وجدت أن المدخل مغلق بحجر جرانيتي وهو ما جعلني أدخل حجرة الدفن بصعوبة.

مع ذلك، فإن هناك بعض الدلائل تشير إلى استخدام الهرم لدفن إحدى ملكات البيت المالك، وأولى تلك الدلائل وجود مقصورة تذكارية رائعة عند الواجهة الشرقية للهرم. وهناك تابوت جرانيتي كان معدًّا ليوضع بحجرة الدفن كما يوجد حاجز لإغلاق الممر الرابط بين الممر الهابط وحجرة الدفن. أما بصالة القرابين الخاصة

■ مخطط لأهرامات ملكات منكاورع.

بالمقصورة عثر رايزنر، على بقايا تمثال بديع من الألباستر لملكة، وهو لا يضم أية نقوش مما يجعل معرفة تلك الملكة لغزًا محيرًا، كما عثر على بقايا كؤوس تحمل اسم ابن الملك "كاي" مما يعتقد أنها كؤوس نذرية. وكان من المعتقد أن هذا الهرم يخص الملكة "خع مررنبتي الثانية" أخت الملك منكاورع، إلا أن هذا الأمر غير مؤكد لعدم وجود أية نقوش تدل على ذلك، كما أنه تم العثور على مقبرة منقورة في الصخر خلف معبد الوادي الخاص بالملك يرجح أنها تخص تلك الملكة.

وقد كشفنا من خلال حفائري حول قاعدة هرم منكاورع، الجنوبية على تمثال مزدوج من الجرانيت قام نحاتو الدولة الحديثة بنحته من كتل الجرانيت الساقطة من كساء الهرم وتصل إلى نحو 3.5 طن في الوزن. وأرى أن صاحب تلك الهيئة المزدوجة هو الملك رمسيس الثاني وهذا التمثال يمثله مرة في هيئة ملك، ومرة أخرى في هيئة معبود. وتذكر بعض النصوص الباقية بالمنطقة أن بلاط الملك رمسيس الثاني ونظامه الإداري كان لهما دور كبير بمنطقة الجيزة، وهذا ما دعى بعض نحاتي الملك باستخدام بعض الأحجار الجاهزة بالمنطقة لنحت تمثاله بدلاً من الحاجة في جلب كتل الجرانيت من محاجر أسوان. ومع ذلك، فقد ترك التمثال في مراحله الأولية، حيث تركت الكتلة مكسورة وملقاة في مكانها، في حين تركت أدوات النحاتين مبعثرة بالمنطقة كي تنتظرنا لنكتشفها.

أما الهرمين الأوسط والغربي (GIII-b وGIII-c) فقد بنيا على شكل هرمين مدرجين، وكان تصميمهما على نفس تصميم أهرام الملكات، حيث ممر المدخل المؤدي إلى حجرة الدفن. وإذا كان الهرم GIII-a قد صمم في الأصل ليكون هرم منكاورع العقائدي، فإن الهرم GIII-b ربما كان يخص إحدى سيدات القصر، كما أن الهرم GIII-c قد خصص لثاني أهم ملكات عصر منكاورع.

وخلف الجدار الغربي لحجرة الدفن بالهرم GIII-b عثر فيز على تابوت من الجرانيت الأحمر، يحتوي على بقايا عظام منها عظام الفك وبعض أسنان لامرأة شابة، بالإضافة إلى بقايا أخشاب متحللة ولفائف. أما حجرة الدفن بالهرم GIII-c – مثل حجرة الهرم GIII-a – فكانت غير كاملة ولا تحتوي على أية توابيت إلا أن رايزنر قد عثر على المئات من أواني النذور داخل مقصورته الشرقية، وهو ما يؤكد أن هناك ملكة قد دفنت بهذا الهرم. أما معبد الهرم GIII-c فكان أكثر فخامة من معبد الهرم GIII-b، حيث وجود دليل على الدفن بحجرة الدفن.

وفي عام 1980م، أقيمت حفائر برئاسة الراحل عبد العزيز صالح، واكتشف خلالها موقعًا هامًا يرتبط بمجموعة الملك منكاورع يسمى بالتجمع الصناعي، ويقع على بعد 70م (230 قدمًا) جنوبي الطريق الصاعد للمجموعة بالوادي الرئيسي الواقع بين هضبتي المقطم والمعادي. وبسبب وجوده بين جسرين من ركام من الحجر والملاط، اعتقد صالح أنه مرتبط بمنحدرات النقل المطلوبة لبناء المجموعة، حيث عثر على قرابة 15 مبنى بأحجام مختلفة. وقد احتوت تلك المباني بداخلها على أفران كبيرة لإعداد الخبز أو لحرق الفخار، ومكان لصهر الحديد، وآخر لصناعة الفخار، بالإضافة إلى وجود بقايا قطع كبيرة من الألباستر والجرانيت ربما كانت تخص ورش النحت الملكية. ومن المحتمل أن تكون المنطقة ككل قد خصصت كورش لمجموعة منكاورع الهرمية وطقوسه، حيث يتم تصنيع الأدوات الصغيرة الحجم المستخدمة في الطقوس اليومية كما يتم تحضير القرابين الطازجة بها. كما يحتمل أن هذا المكان قد شمل عمليات تحنيط جثمان الملك أيضًا.

■ هضبة الجيزة.

بلاط منكاورع

في عهد الملك منكاورع، انقسمت عائلة خوفو وتفرعت إلى أفرع عديدة. ولا نعرف مَن مِن بين هؤلاء الأخوة الأشقاء وغير الأشقاء الذي منح الملك منكاورع الشرعية في الوصول إلى حكم مصر، فربما كان هو الأقوى أو الأكبر (أو الأصغر) من بين أبناء الملك خفرع من إحدى ملكاته الأساسيات. وكما كان من قبل، وكما راوغتنا قوانين الوراثة بمصر القديمة، فإنه سوف يأتي يوم وتتضح فيه معالم الأسرة الرابعة بشكل لافت للنظر عن طريق الأبحاث المستقبلية. ونعرف أن الملك منكاورع قد بنى قصره في منطقة الجيزة مثلما فعل أبوه وجده، وإن كنا لا نعلم إذا كان قد بناه في نفس الموقع أم لا. ولكن من الواضح أن مدن الأهرام بالجيزة قد بنيت على مستوى عال كي تسد احتياجات العائلة الملكية المتنامية.

ومثل بقية فترات التاريخ المصري القديم، فقد استطعنا التوصل إلى معلومات عن أفراد تلك الأسرة المالكة والبلاط الملكي بشكل عام من خلال نقوش ومناظر مقابرهم. وخلال عصر الملك منكاورع بدأ أفراد العائلة في الانتفاع من المحاجر التي استغلها خوفو وخفرع الواقعة بالجنوب الشرقي من الهرم الثاني في نقر مقابرهم. وكان التوسع في حجم المقاصير قد أدى إلى التوسع في المناظر المنقوشة على جدرانها وخاصة تلك المناظر المعروفة بمناظر الحياة اليومية، كما ينتمي لتلك الفترة العديد من التماثيل والنصوص وهو ما يظهر قدرًا كبيرًا من السماحة والحرية في ممارسة الطقوس الدينية للعامة أكثر من أي وقت سابق.

ونعرف عددًا من الوزراء الذي خدموا بعهد الملك منكاورع وهم جميعهم من العائلة الملكية. ومنهم "دوان رع" ابن الملك خفرع والملكة مرسي عنخ الثالثة والأخ غير الشقيق لمنكاورع ومن المتوقع أن يكون هو أول وزير في عهده، والمسئول عن تخطيط المجموعة الهرمية. وهناك 3 وزراء آخرين وهم "مين إيو ون" و"آخ ما رع" و"ني كاورع" ربما كانوا أبناء الملك منكاورع نفسه. أما الأمير "خو ني رع" ابن منكاورع والملكة خع مررنبتي الثانية فلا نعرف عنه سوى القليل عن دوره في إدارة البلاد وذلك من خلال مقبرته الموجودة بمحجر والده. وتحمل مقابر تلك الفترة أدلة على انتهاج الملك منكاورع سياسة جديدة لزيادة ولاء الأمراء للبيت الملكي، حيث فتح قصوره لاستقبال أطفال كبار رجال الدولة وتربيتهم مع الأطفال الملكيين، وعندما يكبر هؤلاء الأطفال سيكون ولاؤهم للملك وخلفائه. ومن بين هؤلاء الأشخاص الذين تربوا في القصر شاب يدعى "بتاح شبسس" والذي تشير نقوش مقبرته أنه تربى بقصر الملك.

أما المدعو "دبحن" والذي دفن بمقبرة صخرية إلى الشمال من الطريق الصاعد للملك منكاورع، فكان واحدًا من كبار رجال الدولة وقد حمل ألقاب "المشرف على الحمامات" و"الحاكم الأعلى لنخب" و"سيد هبات بيت الحياة". وتظهر نقوش مقبرته لمحة عن الحالة الاقتصادية لمصر خلال الأسرة الرابعة، حيث أشار "دبحن" أنه قد تقابل مع الملك منكاورع في اليوم الذي كان الملك يتفقد عمليات بناء هرمه، وخلال ذلك اللقاء طلب "دبحن" من الملك أن يدفن بجوار هرمه، وكان منكاورع في شدة السماحة حتى أنه قد سمح لدبحن بأن يدفن بالقرب منه، وأمر ببناء مقبرة له تصل أبعادها إلى قرابة 5.24م (17 قدمًا/10 أذرع) في الطول و26.2 م (86 قدمًا/ 50 ذراعًا) في العرض، وقد خصص الملك له نحو 50 عاملًا للاشتراك في بناء تلك المقبرة حتى إنه أمر المهندس الخاص به بإحضار كتل الحجر الجيري من المحاجر الملكية لإقامة تمثال ضخم وبابين وهميين وكتل لتغطية واجهة المقبرة. وقد تم الكشف عن تلك العناصر جميعها إلا أن التمثال قد تهشم وأصبح قطعاً. وهناك نص يشير إلى أن هذا اللقاء قد تم عندما كان منكاورع بالقرب من هرم "حر" بالطريق إلى هرمه الخاص. وقد كان دبحن يحمل لقب المشرف على الحمامات الملكية وهو ما يشير إلى أنه أحد الأهرام بمنطقة الجيزة، إلا أننا لا نعرف أي تلك الأهرام.

ومع مرور الزمن قام فرد من الجماعة الصوفية في العصور الإسلامية يدعى "محمد السمان" باستخدام مقبرة "دبحن"، وعندما مات أطلق أهل المنطقة على القرية الواقعة بجوار الهرم "نزلة السمان" وقد استخدم سكان المنطقة

■ منظر عام لمقبرة دبحن– هضبة الجيزة.

المقبرة في صلاة الجمعة بسبب ارتباطها بهذا الرجل المبروك حتى قمنا بعد ذلك بإغلاقها تمامًا أمام الأهالى.

وهناك رجل آخر مهم ولد وعاش في عصر الملك منكاورع وهو "بتاح شبسس". وهذا الرجل يحتمل أن يكون الأخ غير الشقيق للملك أوسركاف مؤسس الأسرة الخامسة، وقد دفن في منطقة أبو صير وهو المكان المفضل لملوك تلك الأسرة كما أظهرت ألقابه الموجودة بمقبرته أنه قد وصل إلى منصب وزير. ويبدو أن معظم أفراد الجيل القديم من عائلة منكاورع قد ماتوا خلال العام 18 من حكمه وهو العام الذي يحتمل أن يكون الملك نفسه قد مات فيه، ويبدو أنه وباء قد أطاح بالعاصمة.

وقد خلف منكاورع ملك يدعى شبسسكاف والذي يعتقد أنه ابنه. ومن الواضح أنه كان بارًّا بوالده كما قام باستهلاك موارد هامة في إكمال مجموعة سلفه حتى وإن كان من الطوب اللبن بدلاً من الحجر الجيري. وهناك رابط يربط بين العصرين يتضح على يد وزير الملك شبسسكاف المدعو "بابا إف" وهو مدفون بالمقبرة G5230 والذي كان ابناً لوزير منكاورع المدعو "دوا ني رع".

وقد فتحت الحفائر الحديثة بالجيزة نافذة على حياة طبقة اجتماعية مختلفة تماماً عن طبقة الملكية وطبقة النبلاء والنبيلات، والتي تعد مقابرهم مصب اهتمام دراسات علمية طوال القرن الماضي. وفي عام 1990م، خرجت جبانة الرجال والنساء الذين اشتركوا في بناء الأهرام إلى النور. وقد تبع هذا الكشف المذهل كشف آخر مواز في الروعة، وهي المدينة الملكية والتي كان يعيش فيها الرجال والنساء وبها كان يتم تحضير طعامهم وتوزيعه. ومازالت الحفائر بمنطقة بناة الأهرامات جنوبي الهضبة الرئيسية بالجيزة قائمة، كما تتم مجموعة رائعة من الاكتشافات كل عام.

ويرجع تأريخ التجمع العمالي الذي تم الكشف عنه حالياً (من خلال حفائر مارك لينر) لعهدي خفرع ومنكاورع. ومن المحتمل أن هناك تجمعًا عماليًّا أقدم لعمال خوفو بهذا المكان، ولكن بقاياه قطعت وألقيت على بعد، وذلك عندما قام خفرع بإعادة بلاطه إلى الجيزة. ومع ذلك فإن المعلومات حول هذا الموقع تشير إلى عهد خوفو على الأرجح. وقد بدأ استخدام الجبانة بوقت ما بالأسرة الرابعة، في الأغلب خلال عهد خوفو، واستمرت خلال الأسرة الخامسة وحتى الأسرة السادسة لتخدم قطاع الفنانين والعمال الذين عملوا ببناء الأهرام ومقابر النبلاء في عهد متأخر بالهضبة والذين اشتركوا في خدمة الطقوس الملكية الباقية بالجيزة.